الفصل الثانى

القبائل العربية بين الهمز والتسهيل

القبائل العربية وما يناسبها من أنماط لهجية :

درج اللغويون العرب ، والدارسون[1] للهجات العربية القديمة على تقسيم القبائل العربية إلى شطرين كبيرين ، عندما يتحدثون عن اللهجات ومظاهر اختلافها ، الشطر الأول : هو القبائل البدوية «أو قبائل المجموعة الشرقية» ، وهى تتوطن فى وسط الجزيرة وشرقيها ، وتعرف أيضًا بقبائل نجد ، وأحيانًا تعرف بأشهر قبائلها وهى قبيلة تميم[2]. الشطر الثانى : وهو القبائل الحضرية «أو قبائل المجموعة الغربية وهى التى تسكن فى بلاد الحجاز[3]، وتعرف بالقبائل الحجازية» وأشهر قبائلها قريش .

والواقع أن كلا من المجموعتين كانت تتميز عن الأخرى فى لهجتها وطريقة نطقها لأصوات وألفاظ اللغة العربية ، وهذا الاختلاف فى طريقة النطق له ما يبرره ، وهو ما يعرف بأسباب اختلاف اللهجات ، ومن أهم هذه الأسباب : الاختلاف فى البيئتين الجغرافية والاجتماعية ، لكل من القبائل البدوية والحضرية ، فالقبائل

---

(١) انظر المدخل إلى دراسة النحو على ضوء اللغات السامية ص٤٤، وانظر القراءات واللهجات ص٣٦ دكتور عبد الوهاب حمودة، وانظر كتاب فى اللهجات العربية ص٩٠ ، وانظر اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص١٠٦.

(٢)هى قبيلة عظيمة تنزل جانبًا عظيمًا من الساحل الشرقى لبلاد العرب أى بلاد نجد بأسرها تقريبًا، وجزءًا من البحرين ، وقسمًا من اليمامة ، وتمتد منازلهم جنوبًا حتى فيافى الدهناء ، كما تمتد فى الشمال الشرقى إلى ضفاف الفرات ، ويجاورهم فى الشمال أسد ، وفى الجنوب الغربى باهله وغطفان ، وامتزجت تميم فى منازلها ببطون من عبد القيس وحنيفة ، كما امتزجت ببكر وتغلب فى الشمال (انظر ص٧ نسب عدنان وقحطان للمبرد).

(٣) روى عمر بن شبه عن رجاله عن محمد بن عبد الملك الأسدى قال : الحجاز اثنتا عشرة دارًا : المدينة ، وخيبر ، وفدك ، وذو المروة ، وداربلى ، ودار أشجع ، ودار مزينة ، ودار جهينة ، ودار بعض بنى بكر من معاوية ، ودار بعض هوازن ، وجل سليم ، وجل هلال .
(انظر ص١٠ معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع للبكرى) .

البدوية كانت لا تعرف الاستقرار ، ولا تألف الحياة الهادئة الآمنة ، بل كانت دائمة التنقل والترحال وراء الكلأ والماء ، وكانت كل قبيلة أشبه بوحدة منعزلة عن الأخرى ، ولها عاداتها المتبعة فى السلوك اليومى من العمل والراحة ، والبيع والشراء ، والطرب والغناء ، والأفراح والأحزان ، والضيافة والعبادة وغيرها ، ولها أيضًا قانونها الخاص وأوامرها المطاعة التى يصدرها شيخ القبيلة ورئيسها .

أما القبائل الحضرية فكانت تألف حياة المدن والقرى والأرياف ، وهى من غير شك حياة ناعمة مستقرة يسودها الأمن والهدوء ، لا تعرف السلب والنهب ولا الإغارة ، وكانت لهذه القبائل أيضًا عاداتها الخاصة فى السلم والحرب ، والبيع والشراء ، وقوانين الزواج والضيافة ، ومراسم العبادة وغيرها .

ومن هنا اختلفت ألسنة المجموعة البدوية عن ألسنة المجموعة الحضرية مثلما اختلفت البيئات عند هؤلاء وهؤلاء ، فالقبائل البدوية كانت تؤثر الأصوات المجهورة على الأصوات المهموسة ، لأن المجهورة فيها من القوة والوضوح ما ليس فى المهموسة وذلك الوضوح أمر يتناسب مع وضوح البيئة البدوية ، من أرض وجبال وإبل وسماء وأبراج ونجوم . . . وكانت أيضًا تؤثر الأصوات الشديدة على الرخوة ، أو على الأقل فى الشدة ؛ ذلك لأن الشديدة تنطلق فى قوة وسرعة من أعضاء النطق ، والسرعة شىء مركب فى طبع البدوى ودمه ، ومن هنا كانت القبائل البدوية تُميل فى كلامها ، وتدغم الحروف المتماثلة أو المتقاربة ، وتفخم الألفاظ ، وهذه من لوازمها السرعة والقوة أيضًا .

أما القبائل الحضرية فكانت تنهج فى نطقها نهجًا مخالفًا لطريقة البدو ، فكانت تفضل الأصوات الرخوة والمهموسة على الشديدة والمجهورة ، وكانت تفتح أفواهها بالكلام ، وتفك الحروف المتماثلة والمتقاربة وترقق الألفاظ . . . وهذا السلوك الأدائى من هذه القبائل أو تلك يتفق مع ما عرفناه من ظروف البيئة الجغرافية والاجتماعية لكل منها ، فالنطق بالألفاظ الممالة والحروف المدغمة يستغرق زمنًا أقل من نطق الألفاظ المفتوحة والحروف المفكوكة ، والسرعة فى نطق الألفاظ والحروف أمر يتناسب مع طبيعة البدوى الذى ألف السرعة فى كل مظاهر حياته ، من الرحلة والانتقال والكر والفر ، والإغارة ، فهو ـ غالبًا ـ لا يغدو فى مكان راح

منه ، ولا يمسى فى أرض أصبح فيها ، لذا كان من الطبيعى أن يسرع فى النطق بلغته ، فيميل ، ويدغم الحروف ، وكان من المناسب أيضًا أن يفخم الألفاظ ويخرجها خشنة غليظة حتى تتلاءم مع غلظ الحياة الجبلية وخشونتها ، وحتى تتلاءم مع ما جبل عليه من جفاء فى الطبع وصلابة فى الرأى وصلف وكبرياء . أما الفتح وفك الحروف وترقيق الألفاظ فكلها مظاهر لهجية تتفق مع طبيعة الإنسان الحضرى الذى يعيش على أرض سهلة ، ويحيا حياة هادئة مطمئنة ، وهى أيضًا تتناسب مع أخلاق الحضريين ومع ما جبلوا عليه من دماثة فى الخلق ورقة فى الطباع .

ولقد اختلفت أيضًا ألسنة المجموعتين البدوية والحضرية فى النطق بصوت الهمزة بين التحقيق والتسهيل ، فكانت القبائل البدوية تنطق بها نطقًا كاملاً ، فتخرجها من الحنجرة صوتًا شديدًا خالص الشدة ، وذلك النطق عرف بالهمز أو بالنبر أو تحقيق الهمز . أما القبائل الحضرية ، فكانت تفر من النطق بالهمزة المحققة ، فكانت تتصرف فيها بالتغيير إلى صوت قريب من أصوات اللين ، أو بتحويلها تحويلاً كاملاً إلى الألف أو الواو أو الياء ، وأحيانًا كانت تتخلص منها بالحذف ، وهذا التصرف فى الهمزة عرف بالتسهيل أو بالتخفيف ، فتحقيق الهمزة إذن مظهر من مظاهر البداوة ، وتسهيلها أو التخلص منها مظهر من مظاهر الحضارة ، وهذا كله يفسر ما كان القدماء يشعرون به من أن بعض العرب أشد تصويتًا من بعض .

وإذا دققنا النظر فى موقف البدويين والحضريين من الهمزة تحقيقًا وتسهيلاً ، وجدنا أن الهمزة صوت عسير على اللسان ، يحتاج إلى مجهود عضلى كبير فى إخراجه كاملاً ، ونطقه محققا ، وهذا المجهود الكبير لا يستطيع أن يقوم به ويؤديه ويحافظ عليه إلا الإنسان البدوى الذى ألف الحياة القاسية من وعورة فى الجبل وصعوبة فى النقلة والمواصلات ، وندرة فى الكلأ والماء ، زد على ذلك أن البيئة الصحراوية تخلو من الحواجز والعقبات التى تعين على توضيح الأصوات وإبرازها للسمع ، لذا كان من الأنسب للبدوى أن يحقق الهمزة وأن ينطق بها نطقًا كاملاً . أما النطق بالهمزة المسهلة فلا يحتاج إلى كبير عناء ، ولذلك فهو يتناسب مع الطبيعة

الحضرية التى تمتاز بالرقة والسهولة فى كل شىء ، كما أن البيئة الحضرية تقرب فيها المسافات وتكثر الحواجز التى تعين على إبراز الأصوات وتوضيحها ، لذا كان من الأنسب للحضرى أن يترك النبرة الكريهة فى السمع إلى صوت أقل منها جهدًا وعناء ، وأحسن منها فى السمع .

هذا ويرى الدكتور عبد الصبور شاهين أن تحقيق الهمزة فى لسان القبائل البدوية ، « كان الخاصة التى تخفّف من عيب هذه السرعة ، أى أن الناطق البدوى تعود النبر فى موضع الهمزة ، وفيما يقابل موقعها فى الكلمات الخالية منها ، وهى عادة أملتها ضرورة انتظام الإيقاع النطقى ، كما حتمتها ضرورة الإبانة عما يريد من نطقه لمجموعة من المقاطع المتتابعة السريعة الانطلاق على لسانه ، فموقع النبر فى نطقه كان دائمًا أبرز المقاطع ، وهو ما كان يمنحه كل اهتمامه وضغطه ـ وأن القبائل الحضرية لم تكن بها حاجة إلى التماس المزيد من مظاهر الأناة فأهملت همز كلماتها ، أعنى المبالغة فى النبر والتوتر ، واستعاضت عن ذلك بوسائل عبر عنها النحاة بعبارات مختلفة ، كالتسهيل والتخفيف والتليين والإبدال والإسقاط[1] وواضح من ذلك أن النطق بصوت الهمزة المحققة عنده أطول من النطق بها مسهلة ، ونحن لا نوافقه على ذلك ، لأن الهمزة صوت ساكن وهى تستغرق زمنًا أقل فى النطق إذا ما قورنت بأصوات اللين ، فضلاً عن أن الهمزة شديدة بالغة الشدة ومعلوم أن أقل الأصوات الساكنة طولاً هى الأصوات الشديدة أو الانفجارية[2] ويرد عليه أيضًا بأنه يفرق فى النبر وانتظام المقاطع بين أكل وسأل وقرأ وبين نصر ، حيث توجد الهمزة فى مواقع مختلفة ، وحيث لا توجد إإ فإذا كان المقطع المنبور هو الأول فى أكل ، وهو الثانى فى سأل ، وهو الثالث فى قرأ ، فما هو فى نصر ؟ هل هو الأول أو الثانى أو الثالث ؟ ولم يكون ؟

---

(١) القراءات القرآنية فى ضوء علم اللغة الحديث ص٣٠، ص٣١.

(٢) راجع طول الصوت اللغوى فى كتاب الأصوات اللغوية للدكتور إبراهيم أنيس ص١٥٥ وما بعدها.

أيهما الأصل : الهمز أم التسهيل؟؟

بعد أن عرفنا أن الهمز لهجة تناسب قبائل البدو ، وأن التسهيل لهجة تناسب قبائل الحضر ، ينبغى أن ننبه إلى أمر هام ، وهو أن تحقيق الهمز يمثل اللغة العربية فى مراحلها الأولى ، وأنه يعدّ الصفة اللهجية التى التزمتها العربية حينما كانت منعزلة فى كبد الصحراء ، قبل أن تعرف حياة المدن والأرياف ، فلما استقرت بعض القبائل العربية قبيل الإسلام وبعده ، وانتقلت من البداوة وسذاجتها إلى الحضارة ورقيها ، صاحب هذا التطور فى الحياة الاجتماعية تطور فى كل مظاهر هذه الحياة ومنها اللغة .

فلا عجب إذن إن قلنا إن تحقيق الهمزة هو الأصل فى العربية ، وأن تسهيله يعد مرحلة لغوية تالية ، حدثت من جراء ذلك التطور فى الحياة الاجتماعية ، وانتقال العرب من البداوة إلى الحضارة ، على أن يلاحظ أن النطقين بالتحقيق وبالتسهيل وجدا فى فترة زمنية واحدة ، هى فترة ما قبل الإسلام وبعده ، إلا أنّ التحقيق كان فى لسان القبائل البدوية ، والتسهيل كان فى لسان القبائل الحجازية المتحضرة ، ونظير ذلك الذى نتخيله بالنسبة لهاتين الصفتين اللهجيتين هو ما نجده الآن ، حيث إنَّ تحقيق الهمزة ملتزم فى اللغة الفصحى بينما اللهجات المحلية تلتزم التسهيل غالبًا . والذى يؤكد لنا أن الهمز أصيل فى العربية ، وأسبق فى الزمن من التسهيل أمران :

(أولهما) النصوص الواردة فى كتب اللغة والأدب :

١- جاء فى شرح الشافية : وتخفيفها (أى الهمزة) لغة قريش وأكثر الحجازيين وهو استحسان ، وتحقيقها كسائر الحروف لغة تميم وقيس وهو الأصل[١] ومنها قول الأستاذ حفنى ناصف « والأصل فى الهمز التحقيق»[٢].

---

(١) المناهج الكافية فى شرح الشافية ج٢ ص١٧٣ لشيخ الإسلام زكريا الأنصارى.

(٢) تاريخ الأدب ص١٢.

٢- نَصَّ علماء اللغة على أن حروف الهجاء فى العربية تتكون من تسعة وعشرين حرفًا ، أو من ثمانية وعشرين حرفًا ، وقالوا عن هذه الحروف إنها حروف أصلية ، وعدوا منها الهمزة المحققة ، ثم قالوا إن هناك حروفًا فرعية مستحسنة ومستقبحة ، وعدوا من الحروف الفرعية المستحسنة الهمزة المسهلة بين بين ، والأصل دائمًا يسبق الفرع[١] .

(**ثانيهما**) أن قانون تطور الأصوات يحكى أن الأصوات تتجه فى تطورها من الأصعب إلى الأسهل غالبًا ، فالشديد يتطور إلى نظيره الرخو ، والمجهور يتطور إلى نظيره المهموس ، وهكذا . . وتطور الهمزة المحققة إلى أحد أصوات اللين أو إلى ما هو قريب منها يتفق مع هذا القانون ، فالهمزة حبسة حنجرية ، أى أنها شديدة بالغة الشدة ، أما أصوات اللين فهى انطلاقية مَائلة إلى الرخاوة والنطق بالصوت الانطلاقى أسهل بكثير من الصوت المحبوس الشديد .

لكن لماذا آثرت العربية الفصحى التزام الهمز مع صعوبته على التسهيل مع جريانه على اللسان وسهولة نطقه؟؟

يبدو أنه كانت لتلك الأصالة من جانب الهمز المحقق دخل كبير ، ونصيب وافر فى جعل القبائل العربية عامة تميل إلى النبر بالهمز وإدخاله فى اللغة النموذجية المشتركة ، لغة الشعر والخطابة ، ولغة التدوين والكتابة أيضا . ولقد أكد هذا المفهوم لدى القبائل العربية نزول القرآن الكريم بالهمز المحقق مع أنه نزل فى بيئة حجازية لم يتعود أهلها على غير التسهيل ، وفى ذلك يقول الإمام على كرم الله وجهه : (نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمزة على النبى ﷺ ما همزنا)[٢]، ولعل مثل هذا الموقف من القرآن الكريم تجاه الهمز المحقق كان السبب فى خروج الحجازيين من سليقتهم فى تسهيل الهمزة فى غير لهجات خطابهم العادية ، ربما لشعورهم بأن تحقيق الهمزة

---

(١) يؤخذ ذلك من أول باب الإدغام فى الكتاب لسيبويه ج٤ ص٤٣١، ص٤٣٢.

(٢) شرح الرضى للشافية ج٣ ص٣٢.

فى الأساليب الأدبية من شعر وخطابة أقرب إلى الفصاحة من تسهيلها[1]. ومن هنا فضل العلماء المحققون على تسهيل الحجازيين نبر التميميين آخذين بالقرآن متأثرين بصنيعه[2]. ويظهر أن هذا الشعور قد ازداد رسوخًا فى الأذهان ، وأصبح قضية مسلمة ، عندما رحل الرواد من علماء اللغة ورواتها ، إلى قلب الجزيرة العربية ، يجمعون اللغة ويدونونها ، وإذا كانوا قد اعتمدوا فى ذلك الجمع والتدوين على نطق الأعراب وأهل البادية ، وعدوا كل ما خالفه أقل مرتبة فى الفصاحة مهما كانت فصاحته ، ومهما كان الناطقون به ، لم يكن غريبًا ولا خارجًا على المألوف أن تلتزم العربية الفصحى تحقيق الهمز وإن كان صعبًا فى النطق ، وتؤثره على التسهيل وإن كان أقل صعوبة ، لأن الهمز لهجة الأعراب التى لا يحيدون عنها .

تسهيل الهمز ليس من العامية فى شىء :

قد يتبادر إلى الذهن من القول بأن اللغة الفصحى التزمت الهمز المحقق فى أدائها اللغوى ، أن تسهيل الهمز ليس من الفصيح أو أنه لهجة عامية ، لذلك كان من إتمام الفكرة السابقة أن ننبه إلى أن تسهيل الهمزة صفة لهجية فصيحة وإن لم تلتزمها اللغة المثالية نطقًا وتدوينًا ، وأنه كان يجرى على ألسنة الفصحاء ، مثله فى ذلك مثل سائر الصفات الأخرى ، « فالهمز والتسهيل ، أو الفتح والإمالة مثلا ليسا من العامية فى شىء ، وإنما هما مستوى من الفصاحة معروف ومقرر لدى القدماء الفصحاء »[3] . وليس أدل على ذلك من أن الرسول ﷺ وهو أفصح اللاهجين ، كان ينطق بكل هذه الصفات ، فكما كان يهمز فى كلامه إذا ما تكلم إلى الخاصة أو حدثهم ، كان يسهل الهمزة إذا ما تحدث إلى أهله وأصحابه ، وقد يؤكد ذلك ما جاء فى جمهرة ابن دريد « قال أبو بكر : جاء قوم بأسير إلى النبى ﷺ وهو يُرْعَدُ ، فقال : (أدفوه) فقتلوه ، أراد عليه السلام (أدفئوه) ولغته ترك الهمزة ، وهم

---

(١) دراسات فى فقه اللغة د/ صبحى الصالح ص٧٨.

(٢) دراسات فى فقه اللغة (المحققون « المدققون).

(٣) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص٢.

ذهبوا إلى لغتهم أدفوه أى اقتلوه»[1] فلفظة (أدفوه) المسهلة الهمزة ، لا يمكن أن نعتبرها عامية ، أو غير فصيحة ، لأن الذى نطق بها فصيح بل فى قمة الفصاحة . وثمت شىء آخر ، وهو أن شطرًا كبيرًا من القراءات القرآنية ، التزمت تسهيل الهمزة كقراءة نافع وأبى جعفر المدنيين ، «والقراءات القرآنية لا تمثل شيئًا من العامية»[2] ، بل أكثر من ذلك أن القراء الذين التزموا تحقيق الهمز ، كانوا يفضلون التسهيل أحيانًا ، «فأبو عمرو بن العلاء كان إذا أدرج القراءة ، أو قرأ فى الصلاة ، لم يهمز كل همزة ساكنة»[3]، وكذلك روى عن الشمونى محمد بن حبيب عن الأعشى عن أبى بكر عن عاصم أنه لم يكن يهمز الهمزة الساكنة[4] ، وروى مثل ذلك أيضًا عن سليم عن حمزة أنه كان إذا قرأ فى الصلاة لم يكن يهمز[5] ، وكان الكسائى يقول «من علامة الأستاذية» ترك الهمزة فى القراءة»[6] .

وهناك أمر ثالث يزيد القضية تأكيدًا ، وهو أن اللغة المثالية التزمت تسهيل الهمز فى بعض الألفاظ ، جاء فى لسان العرب «اجتمعت العرب الذين يهمزون والذين لا يهمزون على ترك الهمزة ، كقولك : يرى ، وترى ، ونرى ، وأرى ، قال : وبها نزل القرآن الكريم»[7] ، إذن لم يبق لقائل بعد ذلك كله أن يقول إن تسهيل الهمز لهجة عامية ، أو أقل مرتبة فى الفصاحة ، بل بالغ بعض المحدثين في أصالة التسهيل وفصاحته مقررا «أن اللغة العربية التى نزل بها القرآن الكريم ، والتى اصطنعت فى تراثنا قبل الإسلام ، كانت تؤثر تسهيل الهمز وهو صفة حضرية ، وأن اللغويين بعد الإسلام قد فرضوا عليها تحقيق الهمز ، مؤثرين هنا الأداء البدوى ، فشاع بيننا الآن أن تحقيق الهمز هو الأفصح»[8].

---

(١) جمهرة كلام العرب ج١ ص٧٤.
(٢) اللهجات العربية فى القراءات القرآنية ص٢.
(٣) الحجة لأبى على الفارسى ج١ ص١٦٠.
(٤) المرجع السابق.
(٥) المرجع السابق.
(٦) المفردات السبع لأبى عمرو الدانى ص٣٥٠.
(٧) اللسان ج١٩ ص٤، ص٥.
(٨) فى اللهجات العربية ص٢٢٦.

قبائل الهمز وقبائل التسهيل :

بينا فيما سبق أن الهمز لهجة بدوية ، وأن التسهيل لهجة حضرية ، وأن الهمز أقدم من التسهيل ، وأنهما لهجتان فصيحتان ، وإن آثرت اللغة المثالية الهمز دون التسهيل نطقًا وتدوينًا . وبقى علينا الآن أن نعرض بالتفصيل للقبائل التى أثر عنها الهمز ، وللقبائل التى أثر عنها التسهيل ، وقد رأينا أن نصنف هذه القبائل إلى أصناف تبين كيف أن بعض القبائل تألف الهمز وتميل إليه؟؟ وكيف أن بعضها الآخر ينفر من الهمز ويفر منه؟؟ . ولسوف نعرض أولاً للقبائل التى تبالغ فى تحقيق الهمز ، حتى يتحول من مكان خروجه إلى مخرج العين ، وذلك تحت عنوان قبائل العنعنة ، ثم نعرض للقبائل التى تهمّز ما ليس بمهموز فتبدل من الألف والواو والياء همزة ، تحت عنوان قبائل التّهميز ، وبعد ذلك يأتى دور القبائل التى تحافظ على النطق بالهمزة فيما أصله الهمز ، وذلك تحت عنوان قبائل التحقيق ، ثم يأتى الحديث عن القبائل التى تفر من النطق بالهمزة تحت عنوان قبائل التسهيل .

أولاً : قبائل العنعنة :

كنا قد تحدثنا فى الفصل الأول عن تفسير ظاهرة العنعنة عند اللغويين وعلماء الأصوات ، ونريد هنا أن نتعرف على القبائل التى تتكلم بالعنعنة ، ونقول ابتداء إن أكثر الروايات تنسب العنعنة إلى قبيلة بنى تميم ، ومن تلك الروايات ما ذكره ابن جنى فى الخصائص وما أثر عن الخليل فى كتاب العين ، وما أثر عن ابن دريد فى الجمهرة ، وبعضها الآخر ينسبها إلى تميم وأسد ، كما ورد فى شرح المفصل لابن يعيش ، وأحيانًا ينسبونها إلى تميم وقيس كما فعل السيوطى فى المزهر[1] وهناك روايات أخرى وردت فى كتب اللغة ويفهم منها أن حدود العنعنة أوسع مما ذكرته الروايات المشار إليها ، فصاحب اللسان نقل رواية عن الفراء جاء فيها :« قال الفراء : لغة قريش ومن جاورهم (أن) . وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم يجعلون

---

(١)ذكرنا جميع هذه الروايات فى الفصل الأول عندما حاولنا تفسير ظاهرة العنعنة .

ألف (أن) إذا كانت مفتوحة عينا ، يقولون (أشهد عنك رسول الله) وإذا كسروا رجعوا إلى الألف[1]» فقوله «وتميم وقيس وأسد ومن جاورهم» يعنى أن العنعنة لا تقف عند حدود هذه القبائل الثلاثة ، بل توجد فى القبائل الأخرى المجاورة لها ، فقد توجد مثلاً فى القبائل الواقعة فى ناحية الشرق من تميم مثل قبائل سعد ودارم ومجاشع وحنظلة وعجل وبكر بن وائل وعبد القيس أو فى الواقعة إلى الشمال منها مثل قبيلة كلب ، أو فى الواقعة إلى الغرب منها مثل يربوع وجعدة وكعب ابن ربيعة ونمير وكلاب وغنى[2] ، وكذلك الحال بالنسبة إلى قبيلة أسد وقيس ، ولكن هل تسعفنا الروايات بما يؤيد وجود العنعنة عند كل القبائل المجاورة لتميم وأسد وقيس؟؟ الواقع أن الروايات لم تسجل كل ما ورد عن القبائل من العنعنة ، بل اقتصرت على نسبتها إلى قليل من هذه القبائل ، فقد جاء فى سر الصناعة «وقد أبدلوا الهمزة عينا فى غير (عن) أخبرنى أبو على قراءة عليه ، يرفعه إلى الأصمعى ، قال : سمعت أبا ثعلب ينشد بيت طفيل :

فنحن منعنا يوم حرس نساءكم غداة دعانا عامر غيرمعتلى[3]

قال : يريد غير مؤتلى[4] «وقال : محققو الكتاب إن الرواية التى وردت فى ديوان طفيل «غير مؤتلى» بالهمز لا بالعين ومعناه : غير مبطئ[5] . وعلى هذا القول الأخير لا شاهد فى البيت ، أما على فرض صحة الرواية التى ساقها ابن جنى فإننا نقول إن طفيلاً قائل هذا البيت اشتهر «بطفيل الغنوى»[6] نسبة إلى قبيلة غنى ،

---

(١) لسان العرب ج١٣ ص٢٩٥.

(٢) انظر مصور جزيرة العرب قبيل الإسلام ص٢ من كتاب الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه .

(٣) البيت من الطويل، وهو فى ديوان طفيل الغنوى ٣٧، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٤٣٤، والمعجم المفصل ٤٦٣/٦، واللهجات العربية فى التراث ٢٨٥، والدراسات اللهجية والصوتية عند ابن جنى ١٣٧، (حرس) بالحاء المهملة المفتوحة: ماء من مياه بنى عقيل بنجد ـ وقالوا فى تفسير بيت طفيل: إن حرسا ماء لغنى (التحقيق من شرح شواهد الشافية).

(٤) سر صناعة الإعراب ج١ ص٢٤٠، ٢٤١.

(٥) المرجع السابق .

(٦) الأمالى لأبى على القالى ج٢ ص٧٨.

وهى تجاور قبيلة تميم ، وتقع إلى الغرب منها كما أشرنا سابقًا ، كما أن نسبها يتصل فى النهاية بقيس عيلان ، فهى : غنى بن أعصر بن سعد بن قيس[1]. وعلى ذلك فلا غبار على نسبة العنعنة إليها . وجاء فى سر الصناعة أيضًا .

وأنشدنى أبو على :

مَنْ لِى مِنْ هُجْرانِ لَيْلَى مَنْ لِى
والْحَبْلِ مِنْ حِبَالِهَا الْمُنْحَلِ
تَعَرَّضَتْ لِى بِمَكَانٍ حِلّ
تعرض المهرة فى الطول
تَعَرّضًا لَمْ تَأْلُ عَنْ قَتْلاً لِى[2]

قال ابن جنى : هكذا أنشدنيه «عن قتلاً» ، وحمّله تأويلين : أحدهما : أنه قال : يجوز أن يكون أرادَ الحكاية ، كأنه حكى النصب الذى كان معتادًا من قولها فى بابه ، أى كانت تقول «قتلا قتلا» أى أنا أقتله قتلا ، ثم حكى ما كانت تلفظ به . . . والوجه الآخر الذى أجازه أبو على فى قوله : «عن قتلا لى» أنه قال : يجوز أن يكون أراد «أن قتلا لى» أى أن قتلتنى قتلا ، فأبدل الهمزة عينا . فهذا أيضًا من عنعنة تميم[3] . فإذا أخذنا بالوجه الأخير من الوجهين السابقين ، يكون البيت الأخير شاهدًا على وقوع العنعنة فى لهجة قائله ، ولكنها ليست من عنعنة تميم كما

---

(١) انظر نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ـ السفر الثانى ص٣٤٣.

(٢) الأبيات من الرجز، قائلها منظور بن مرثد الفقعسى الأسدى، ينظر إصلاح المنطق ١٧٠، وهى فى مجالس ثعلب ٥٣٣/٢ وما بعدها ضمن سبعة عشر بيتًا، وفى سر صناعة الإعراب ١٧٧/١، ١٧٨، ٢٣٥، والأول والثانى فى الخصائص ٢٦٢/٢، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٢٤٨، ٢٤٩، والثالث والرابع والخامس فى اللسان (طول)، (قتل)، وقال أبو على فى المسائل العسكرية : (المنحلّ لا يخلو من أن يكون محمولاً على الحبل أو الحبال، وكلا الأمرين قبيح). والطِّوَلّ : الحبل الطويل تربط الدابة فيه ويشد بوتد؛ لترعى ما حوله ـ وتشديد اللام إنما يكون فى الوقف ، وقد أجرى الشاعر هنا الوصل مجرى الوقف .

(٣) انظر سر صناعة الإعراب ج١ ص٢٣٥ ، ٢٣٦ ، ٢٣٧ .

قال ابن جنى ، لأن قائل هذه الأبيات كما ترجم له الأستاذ محمود محمد شاكر محقق كتاب الطبرى «هو منظور بن مرثد بن فروة الفقعسى الأسدى ، وهو نفسه منظور بن حبة الفقعسى الأسدى[1] ، إذن فقبيلة فقعس ـ إحدى بطون قبيلة بنى أسد كان من لهجتها العنعنة أيضًا».

ومن الروايات التى تنسب العنعنة إلى قبائلها ، تلك التى جاءت فى نوادر أبى زيد الأنصارى ، قال : «وأنشدتنى أعرابية من بنى كلاب :

فستعلَمنَّ وإنْ هويتكَ عنَنى قطاع أرحام الحبال صَرُوم

فقلت لها ما هذا؟ فقالت : هذه عنتنا[2] . وبنو كلاب هؤلاء كانوا يجاورون بنى تميم من ناحية الغرب كما أشرنا سابقًا ، وهم بنو كلاب بن ربيعة بن عامر ابن صعصعة من هوازن إحدى بطون قيس عيلان[3] ، فهم يجاورون تميمًا ، وينتسبون إلى قيس ، وهاتان القبيلتان إذا ضفنا إليهما أسدًا نكون قد وقفنا على أشهر القبائل التى أثرت عنها العنعنة ، فنسبة العنعنة إلى بنى كلاب نسبة صحيحة .

ومن تلك الروايات أيضًا ما نقله العلامة أحمد تيمور باشا عن الثعالبى قال : «وفى فقه اللغة للثعالبى : العنعنة تعرض فى لغة قضاعة كقولهم ظَننت عنّك ذاهب أى أنك»[4] ونقل الدكتور إبراهيم السامرائى عن الثعالبى مثل ذلك[5]. ولو صح هذا النقل لقلنا إن المراد بقضاعة أحد بطونها التى كانت تسكن البادية مثل كلب التى قال عنها الهمذانى : «وأما كلب فمساكنها السماوة ، ولا يخالط بطونها فى السماوة أحد»[6] ، لكن يبدو أن ذكر قضاعة فيما نقله تيمور والسامرائى من

---

(١) تفسير الطبرى ج٦ ص١٧١ (بالهامش) ، وفى القاموس المحيط (ن ظ ر): ومنظور بن حبة راجزٌ، وحبّة أمه ، وأبوه مرثد.

(٢) النوادر فى اللغة ـ لأبى زيد الأنصارى ص٢٨ ط: بيروت ١٩٦٧م.

(٣) راجع قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ص١١٥، ص١١٦.

(٤) لهجات العرب ص٤٦، ٦٧، وقارن مع فقه اللغة وسر العربية للثعالبى ص١٠٧- الفصل التاسع والعشرون ـ ط دار الكتب العلمية بيروت ـ لبنان.

(٥) فقه اللغة المقارن ص ٣٧. ط: بيروت ١٩٦٨م.

(٦) صفة جزيرة العرب للهمذانى ص١٣٥.

قبيل الخطأ فى النقل لأن الموجود فعلاً فى النسخة المحققة من كتاب فقه اللغة للثعالبى : العنعنة تعرض فى لغة تميم[1] «وبالرغم من ذلك فإنا لا نستبعد أن تكون العنعنة لهجة لقضاعة كما هى لهجة تميم ، لأن قضاعة قبيلة عظيمة ولها بطون كثيرة ، منها الحضرى ومنها البدوى مثل كلب التى أشرنا إليها ، بل يرى بعض الباحثين أن دائرة العنعنة فى قضاعة أوسع منها فى تميم ، فالدكتور عبدالمجيد عابدين يرى أن عنعنة تميم كانت فى همزة أن المفتوحة ، أما قضاعة فجعلت الهمزة عينا دون تقييد بحركة أو موقع»[2] ، ونحن من جانبنا لا نجد دليلاً على هذه الدعوى ، بل ما قدمناه فى الفصل الأول من الروايات التى جاءت عن الخليل وابن دريد والسيوطى ، ينقض هذا القول ، فهناك عرفنا أن بنى تميم يقولون : الخبع ويريدون الخبء ، أو يقولون هذه خباعنا ويريدون : خباؤنا .

وخلاصة ما ذكرنا فى الفصل الأول ، وما ذكرناه هنا ، أن العنعنة إحدى لهجات القبائل البدوية التى تبالغ فى الجهر بالهمزة فتقلبها عينًا ، وقد حددت الروايات بعض هذه القبائل كتميم وأسد وقيس ومن جاورهم ، وكغنى إحدى بطون قيس ، وكفقعس إحدى بطون بنى أسد ، وكبنى كلاب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة التى ينتهى نسبها إلى قيس ، وكقضاعة التى نرجح نسبة العنعنة إلى إحدى بطونها البدوية مثل قبيلة كلب .

ثانيًا : قبائل التهميز :

تميز نطق البدو زمن تدوين اللغة بظاهرة سماها القدماء النبر ، وهى لا تقتصر على تحقيق الهمز فى الكلمة المهموزة الأصل ، بل تتجاوز ذلك إلى تهميز ما ليس بمهموز أصلاً ، فكانوا يهمّزون الهاء ، ويهمّزون الواو والياء ، ولذلك لقبهم بعض القدماء بأصحاب النبر[3]، ولعل القدماء أرادوا بالنبر تلك العملية النطقية التى مصدرها الحنجرة حين تتوتر عضلاتها توترًا شديدًا ، وهذه الظاهرة يمكن أن

---

(١) فقه اللغة للثعالبى ص١٠٥ تحقيق مصطفى السقا ، وإبراهيم الأبيارى وعبد الحفيظ شلبى.

(٢) من أصول اللهجات العربية فى السودان ص ٣٥.

(٣) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص٩٩.

يطلق عليها التهميز أى إيثار الهمز فى كثير من الكلمات[1]. ومن هذين النصين يفهم أن النبر يشمل لونين متميزين فى نطق البدو : (أولهما) تحقيق الهمزة فى الكلمة المهموزة الأصل ، (وثانيهما) تهميز ما ليس بمهموز أصلاً ، كقولهم (أَزّ) فى (هَزَّ) وكقولهم (العأْلم) فى (العالم) وسنقتصر هنا على الحديث عن اللون الثانى ، وهو ما نعبر عنه بظاهرة التهميز .

ويبدو أن هذه الظاهرة لم تكن متميزة على الأقل فى فترة ما قبل الإسلام وبعده ، « وبعد أن صار الهمز شعار العربية الفصحى ، تسابق العرب فى النطق به ، فأدى ذلك إلى همز ما ليس أصله الهمز ، مبالغة فى التفصح ، لأنه إذا كانت خذأت فصيحة ، وخذيت غير فصيحة ، فإنه لا مانع من تحول حلّيت السويق ، ولبّيت بالحج ، ورثيت زوجى ، إلى حلأت[2]، ولبأت ، ورثأت ، عن طريق القياس الخاطئ مبالغة فى التفصح »[3].

ويغلب على الظن أن هذا الخطأ فى القياس أتى من جهة « أن الناس لم يكونوا يهمزون فى الكلام العامى فى حياتهم اليومية ، فإذا أرادوا محاكاة اللغة الفصحى فى مواقف الجد ، حدث خلط كبير فى همز ما لا يستحق الهمز ، لأنهم إذا كانوا يقولون فى الكلام العامى قريت الكتاب ، وقريت الضيف ، فإنهم فى حالة محاكاتهم للفصحى يقولون قرأت الكتاب ، وقرأت الضيف مثلاً ، وليس فى المثال الثانى همزة فى الفصحى ، لأنه من قرى يقرى بمعنى أطعم الضيف وقد وجد مثل ذلك تمامًا فى الجاهلية وعصور الاحتجاج للعربية[4].

كذلك يبدو أن ظاهرة التهميز انتشرت فى نطاق ضيق جدًّا بين القبائل البدوية ، ولم تنم نموًّا سريعًا يخلع عليها صفة القياس والاطراد ، حتى إن النحويين حكموا

---

(١) الأصوات اللغوية د. إبراهيم أنيس ص١٠٠.

(٢) فى القاموس (مادة حلأ) : حلأ السويق تحليئا وتحلئة: حلاه. همزوا غير مهموز لأنه من الحلواء. بتصرف .

(٣) لحن العامة والتطور اللغوى د. رمضان عبد التواب ص١٢٧، ١٣٠.

(٤) فصول فى فقه العربية د. رمضان عبد التواب ص٢٢٣.

عليها بالشذوذ ، وعدم الاطراد ، يقول الشيخ زكريا الأنصارى فى شرح الشافية : « وأما نحو دأبة ، وشأبة ، والعألم فى قول العجاج :

يا دار سلمى يا اسلمى ثم اســـلمى فخنـــدف هامـــة هـــذا العـــألم[1]

وبأز : فهمزته مبدلة من ألف ، لكنها منقلبة عن واو فى « بأز » ؛ بدليل أبواز ، وشئمة : بإبدال همزته من ياء ، ومؤقد ، ومؤسى : بإبدالها من واو فى قوله :

(أحب المؤقـــدين إلىّ مؤســـى)[2] .....

فشاذ جائز غير مطرد »[3].

* * *

والروايات التى بين أيدينا تشير إلى أن ظاهرة التهميز كانت مقصورة على البدويين المتوغلين فى البداوة ، والقريبين منهم ، وتشير أيضًا إلى أن القيسيين كانوا أكثر ميلاً إلى التهميز من غيرهم ، فقد « روى الفراء عن بعض العرب أنهم يهمزون

---

(١) البيتان من الرجز المشطور، وهما فى ديوان العجاج ٥٨، ٦٠، والمنجد فى اللغة ص٣٠، وسر صناعة الإعراب ١٠١، والخصائص ٢/١٩٦، ٢٧٩، وشرح ابن يعيش ١٠/١٢، ١٣، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٤٢٨، والإنصاف ١/١٠٢، والمقرب ٢/١٦٠، والممتع ١/٣٢٤، والمناهج الكافية فى شرح الشافية للشيخ زكريا الأنصارى ٤٩٧، والموشح ١٦ - ٢١٧ - ٢١٨، وضبط فى شرح ديوان العجاج ٢٩٩ (هذا العألم) بالهمز، قال المحشى - هكذا كان ينشده العجاج:

فخندف هامة هذا العألم قوم لهم عز السنام الأسنَمِ

والهام: جماعة الناس، ورواه ابن دريد بدون الهمز فى جمهرة اللغة ٢/٢٦٦ ثم قال: « وهذا سناد قبيح »، وعلق المحقق بأنه كان ينشده العألم بالهمز فراراً من هذا.

(٢) صدر بيت من بحر الوافر، قاله جرير بن عطية بن الخطفى الكلبى اليربوعى، من قصيدته التى يمدح بها هشام بن عبد الملك، وتمامه: (وجعدة لو أضاءهما الوقود)، وفى رواية المعرّى: (وحزرة لو أضاء لى الوقود)، وموسى، وجعدة (أو حزرة): ولدان من أبناء جرير، وقبل البيت :

نظرنا نار جعدة هل نراها أبعد غال ضوءك أم همود

ينظر: ديوان جرير ٢٨٨ والرواية فيه:

(أحب الوافدان ..... وجعدة إذْ .....)

وينظر: الخصائص ٢/١٧٥- ٣/١٤٦، ١٤٩، ٢١٩، وسر الصناعة ١/٩٠، ورسالة الملائكة ص١٢، والمحتسب ١/٤٧، والمخصص ١٤/١٣، والممتع لابن عصفور ١/٩١، والمقرب له ٢/١٦٣، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٤٢٩، ومغنى اللبيب ٢/٦٨٤، وشرح شواهد المغنى للسيوطى ٢/٩٦٢، والمناهج الكافية ٤٩٨، والمعجم المفصل ٢/٢٩٠.

(٣) المناهج الكافية فى شروح الشافية ج٢ ص٢٢٢.

ما لا همز فيه ، إذا ضارع المهموز ، قال : وسمعت امرأة من غنى تقول : رثأت زوجى بأبيات ، كأنها لما سمعت رثأت اللبن ، ذهبت إلى أن مرثية الميت منها[1] » وقبيلة غنى هذه التى أثر عنها التهميز ينتهى نسبها إلى قيس بن عيلان ، فهى غنى ابن أعصر بن سعد بن قيس[2] ، إحدى القبائل البدوية التى كانت تسكن فى وسط الجزيرة ، فى جوار تميم وأسد ، وقد أثر التهميز عن قبيلة غنى أيضًا فى كلمة (ضئزى) ، قال أبو زيد : سمعت رجلاً من غنى يقول : هذه قسمة ضئزى[3] ، وقد وردت هذه اللهجة الغنوية فى إحدى قراءات القرآن الكريم ، حيث قرأ ابن كثير[4] ﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾ (النجم:٢٢) : ضئزى بالهمز . ويظهر أن تهميز الأفعال ولا سيما المعتل الآخر منها كان شائعًا فى نطق قبيلة قيس ، يقول ابن جنى عند قوله تعالى : ﴿ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الضَّلَالَةَ بِالْهُدَىٰ ﴾ (البقرة:١٦) : « وقيس تقول : اشترؤا الضلالة »[5] وقد فسر ذلك بقوله : ينبغى أن يكون ذلك على إجراء غير اللازم مجرى اللازم ، أى شبهت حركة التقاء الساكنين وليست بلازمة ، بالضمة اللازمة فى أقتت ، وأدؤر ، وأجوه ، إلا أن همز (اشتروا الضلالة) من ضعيف ذلك ، ولكن هناك وجهًا آخر قرئت به الآية ، وهو فتح الواو والهمز ، وهو لغة عن الكسائى[6] ، ولا ينطبق عليه تفسير ابن جنى السابق ، وذلك يدعو إلى البحث عن تفسير آخر يتناول جميع هذه الأوجه ، وربما لا نخطئ إذا قلنا إن سر التهميز لا يكمن فى الضمة التى على الواو ، وإنما الذى يحتمل هو أن قبيلة قيس كانت تميل إلى همز الألف فى آخر الفعل المعتل ، فكما كانت تقول فى رثيت رثأت ، وفى حلّيت : حلأت ، وفى لبيت : لبأت ، كانت تقول فى الفعل (اشترى) اشترأ ،

---

(١) لسان العرب ج١ ص١٠.

(٢) نهاية الأرب فى فنون الأدب للنويرى ـ السفر الثانى ص ٣٤٣.

(٣) المخصص لابن سيده ج١٢ ص٢٠٧.

(٤) البحر المحيط ج٨ ص١٦٧.

(٥) المحتسب لابن جنى ج١ ص٥٥.

(٦) مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه ٢.

بالهمز ، وتبقى هذا التهميز بعد إسناد الفعل إلى ضمير الجماعة ، وقد تقول قيس فى اسم الفاعل من هذا الفعل (مشترئ) بالهمز ، وعليه يوجّه قول الشاعر :

كمشترىء بالحمد ما لا يضيرهُ[1]

قال أبو العباس أحمد بن يحيى : هذه لغة من يهمز ما ليس بمهموز . ومن هذه اللهجة التى تهمز الفعل المعتل الآخر ما حكاه أبو العباس أيضًا :

وكنت أرجّى بئر نعمان حائرا فلوأ بالعينين والأنف حائر[2]

أراد لَوّى فهمز . ويحتمل أن تكون من هذا القبيل القراءة التى أشار إليها ابن خالويه فى قوله تعالى : ﴿ فَتَمَنَّوُاْ ٱلْمَوْتَ ﴾ (الجمعة:٦) حيث قال « قرأ يحيى ابن يعمر واليمانى بكسر الواو ، وقرأ بالهمز بعض الأعراب حكاه الكسائى »[3]. وفى نظرى أن هؤلاء الأعراب ، كانوا يقولون فى الفعل تمنى : تمنأ ، ثم أبقوا التهميز فى الفعل بعد إسناده ، ولكن يظهر أن تهميز الأفعال المختومة بالألف كان قليلاً فى لسان من ينطق به من أعراب قيس ، بدليل أن الروايات التى وردت به قليلة جدًّا ، وأن القراءات التى وردت بذلك معظمها من الشاذ ، ومن أجل ذلك تجاوز النحاة إلى تلحينهم وتغليطهم ، قال الزجاج : « فأما من يبدل من الضمة همزة

---

(١) الشطر من بحر الطويل، غير منسوب فى لسان العرب ٢١/١ (حرف الهمزة من المقدمة) وكذلك فى المعجم المفصّل ٥٨٠/١٢.

ويروى مثل هذا الشاهد من بحر الطويل فى كتاب الخصائص ٢٧٩/٣، والمحتسب ٤٢/٢، وشرح شواهد الإيضاح البغدادى على شافية ابن الحاجب ص٤٠٢:

كمشترىءٍ بالخيل أحرةَ بُتْرا

وفى ص٤٠٩ رواية أخرى هى (كمشترٍ) من غير همز، قال: والقياس فيه (كمشترٍ) بحذف الياء والتنوين، ورواه ابن عصفور فى كتاب الضرائر (كمشترىءٍ) بالهمز والتنوين.

(٢) البيت من بحر الطويل، غير منسوب فى مقدمة لسان العرب ٢١/١ (حرف الهمزة)، وهناك رواية أخرى ذكرها أبو العلاء المعرى فى سالة الملائكة ص٢١٩:

وكنت أُرَجّى بعد نعمان جابرا فَلَوْأً بالعينين والأنف جابرُ

وهى فى اللسان (لوأ)، وفى تهذيب اللغة وتاج العروس (لوى)، وفى المعجم المفصل ٢١٥/٣.

(٣) مختصر فى شواذ القراءات لابن خالويه ص١٥٧.

فيقول اشتروا الضلالة ، فغالط[1]» وقال ابن خالويه : ﴿ ٱشْتَرَوُا۟ ٱلضَّلَـٰلَةَ ﴾(البقرة:١٦) بكسر الواو : يحيى بن يعمر ، وأبو السمال بفتحها ، والهمز لغة عن الكسائى ، وهو عند البصريين لحن»[2] . فكيف يكون ما ورد فى القراءات القرآنية غلطًا أو لحنًا؟؟ الواقع أن النحويين دائمًا يحكمون قواعد وأصول اللغة النموذجية فى كل ما ورد عن العرب مع أنه ينبغى أن نفصل بين مستوى اللغة المثالية ، لغة القواعد ، وبين مستوى اللهجات الخاصة ببعض العرب دون بعض ، فما قال عنه النحويون إنه غلط أو لحن ما هو إلا لهجة خاصة بأعراب قيس ، وما كان لهم أن يصدروا حكمًا بالغلط أو بالتلحين على صفة لهجية لم تتخذها اللغة النموذجية صفة من صفاتها ، ولا سيما أنها وردت فى القراءات ، ولا يمكن تلحين القراءات أو تغليطها وإن أمكن وصفها بالشذوذ ، ومن هنا لا يمكن أن نبرر موقف النحويين المتشدد من هذه اللهجة اللهم إلا إذا كانوا يقصدون بالغلط أو باللحن عدم جريانها أو اطرادها فى اللغة الفصحى ، وعلى أساس هذا الفهم وحده يكون موقفهم سليمًا من القراءات القرآنية أولاً ، ومن الظاهرة اللهجية ثانيًا .

ومن التهميز أيضًا ما رواه الأزهرى بإسناده عن الفراء ، قال : سمعت أعرابيًا من بنى سُلَيْم ينشد :

فإنَّهَا حِيَـلُ الشـيطان يَحْتَبِـلُ[3]

قال : وغيره من بنى سليم يقول يحتال بلا همز ، قال : وأنشدنى بعضهم :

يـا دارمـيَّ بـدكاديك البُـرَقْ سَقْيًا وإنْ هَيَّجْتِ شَوْقَ المُشْتَئِقْ[4]

---

(١) معانى القرآن وإعرابه للزجاج ج١ ص٥٧.

(٢) مختصر فى شواذ القراءات ص١٠.

(٣) البيت من بحر البسيط، ونسبه ابن منظور فى لسان العرب (حول) لأعرابى من بنى سليم، وكذلك الأزهرى فى تهذيب اللغة (حول)، والمعجم المفصل ٤٨٧/١٢.

(٤) هما من الرجز، ويروى «صبرا» مكان «سقيا» والمعنى أعطينى صبرا، والمعنى على الرواية المثبتة: سقاك الله سقيًا ـ وهما فى سر صناعة الإعراب ١٠٢ والخصائص ١٤٥/٣، وشرح شواهد البغدادى على شافية ابن الحاجب ١٧٥، ٤٢٧، ولسان العرب وتاج العروس (شوق)، --

فقولهم يحتئل بدلاً من يحتال ، والمشتئق بدلاً من المشتاق ، يدل على أنهم كانوا يميلون إلى تهميز الفعل الأجوف ، وما أخذ منه ، ولا يقال إن التهميز فى هذين اللفظين كان من أجل إقامة الوزن الشعرى ، لأن عين الفعل يحتال تقابل فى الوزن العين من (فاعلن) وهى لا تكون إلا متحركة ، فأبدل من الألف ما يقبل الحركة وهو الهمزة ؛ لأن الشاعر كان فى إمكانه أن يقيم الوزن بإبدال الألف ياء ، أى كان يقول : يحتيل بالياء . وكذلك لا يرد الاعتراض فى المشتئق لأن ألف المشتاق وإن كان يُقابل فى وزن العروض اللام من (مستفعلن) ، وهى لا تكون إلا متحركة ، فكان على الشاعر أن يبدل منها ما يقبل الحركة ، نقول كان بإمكانه أن يبدل منها واواً فيقول المشْتَوِق ، وفى ذلك رجوع إلى الأصل فى الإعلال ، لكنه لما لم يفعل ذلك ، حكمنا بأن ما ورد فى هذين البيتين من التهميز الذى ورد فى لسان أعراب قيس ، ولا سيما أن بنى سليم من قيس ، بل « هم أكثر قبائل قيس عددًا »[1]

ومن التهميز أيضًا ما أثر عن أبى حيّة النميرى ، فقد حكى ابن سيده فى المخصص قال : « وزعم الفارسى عن بعض الأشياخ أراه محمد بن يزيد أن أبا حية النميرى ، كان يهمز كل واو ساكنة قبلها ضمة ، وإن لم يكن لها أصل فى الهمز ، وكان ينشد :

أحـــب المؤقـــدين إلى مؤســـى . . . . . .

. . . وعليه وجه قراءة من قرأ « فاستوى على سؤقه » و« عاد اللؤلى »[2]، ومن هذا النص نفهم أن تهميز الواو الساكنة المضموم ما قبلها ، كان مطردًا فى لهجة من

--(حول) وتهذيب اللغة (حال)، والد كاديك: جمع الدكداك وهو الرمل المتلبد فى الأرض لم يرتفع. والبُرَق جمع بُرْقة وهى غلظ فى حجارة ورمل. وقال البغدادى فى شرح شواهده على الشافية ص١٧٦: قال ابن المستوفى: هذان البيتان أنشدهما الفراء لرؤبة ، ومثله من الرجز :

سُقيتِ من وَدْق السحاب المنبعقْ
يكـــاد قلبى من هـــواكِ يحترقْ
كذا دعاء كل صبّ مشتئقْ اهـــ

(١) قلائد الجمان فى التعريف بقبائل عرب الزمان ص٦٧.

(٢) المخصص ج١٤ ص١٣.

ينطق به من العرب كأبى حية المذكور ، وبالطبع ما ينطبق على أبى حية النميرى ينطبق على كثير من أفراد بنى نمير ، الذين ينتسب إليهم أبو حية ، لأنه من غير المعقول أن ينفرد شخص فى قبيلةٍ ما بما يخالف لهجة قومه ، وقد قرأ أبو حية بهذه اللهجة قوله تعالى : ﴿ وَبِٱلْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ ﴾(البقرة:٤) قال ابن خالويه « قرأ أبو حية النميرى بهمزة ساكنة بدل الواو »[١] أى قرأ « يؤقنون » . يبقى بعد ذلك أن نقول إن التهميز فى لسان بنى نمير ليس خارجًا عن المألوف فى لسان القبائل البدوية ، لأنهم كانوا يعيشون فى وسط الجزيرة العربية مجاورين لتميم وأسد ، كما أنهم ينتسبون إلى قيس بن عيلان ، وعلى التحديد هم « بطن من عامر بن صعصعة ابن معاوية بن بكر بن هوازن بن منصور بن خصفة بن قيس عيلان ، وهم من جمرات العرب الثلاث ، كانت منازلهم بنجد ، ولهم كثرة وعزة فى الجاهلية والإسلام ، ثم دخلوا إلى الجزيرة الفراتية »[٢].

وقريب من لهجة بنى نمير ما حكاه صاحب لسان العرب عن بنى عقيل ، قال : « وعقيل تهمز الفأرة والجؤنة والمؤسى والحؤت »[٣] « والشاهد فى هذه الرواية لفظتا المؤسى[٤] والحؤت ، لأنهما اللتان وردتا بغير الهمز فى اللغة المثالية ، فالأولى ذكرها صاحب القاموس فى مادة (المَوْس) ولم يذكرها فى (مأس)[٥]، وذكر الثانية فى مادة (الحوت)[٦]، ولم يذكر مادة (حأت) مما يدل على عدم ورود المهموز فى اللغة المثالية ، أما الفأرة فلا شاهد فيها ، لأنها مهموزة فى لغة كل العرب المحققين ، وتذكر فى المعاجم تحت مادة (الفأر)[٧]، وكذلك الجؤنة

---

(١) مختصر فى شواذ القراءات ص٢.

(٢) معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج٣ ص١١٩٥ (بتصرف).

(٣) اللسان ج٦ ص٣٤٨.

(٤) هى الآلة الحديدية، مشتقة من أوسيت أى حلقت عند البصريين، وعند الفراء هى فُعْلى من الميس، وعليهما فأصلها عدم الهمز، أما إن اشتقت من أسوت الجرح أى أصلحته فأصلها مؤسى بالهمز. انظر : رسالة الملائكة ص١٣ (التحقيق).

(٥) انظر القاموس المحيط ج٢، ص٢٥٠، ص٢٥٢.

(٦) المرجع السابق ج١ ص١٤٦.

(٧) المرجع السابق ج٢ ص١٠٦.

لا شاهد فيها لأنها مما أصله الهمز»[1]، والتهميز أيضًا فى لهجة بنى عقيل أمر طبيعى لأنها من قبائل شرق الجزيرة العربية التى تنتسب إلى قيس «فهم بنو عقيل ابن كعب بن ربيعة بن عامر بن صعصعة .. كانت مساكنهم بالبحرين ، ثم ساروا إلى العراق وملكوا الكوفة ، والبلاد الفراتية ، وتغلبوا على الجزيرة والموصل وملكوا تلك البلاد وبقيت المملكة بأيديهم حتى غلبهم عليها الملوك السّلجوقيون»[2].

* * *

ومثل ذلك الذى أثر عن قبائل قيس من تهميز الواو الساكنة المضموم ما قبلها أثر عن بنى أسد ، فقد كانوا يقولون فى لفظة يونس (يؤنس) بضم النون وهمز الواو ، حكى ذلك عنهم أبو حيان ، فى الكلام عن قوله تعالى : ﴿ إِنَّآ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ كَمَآ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰ نُوحٍ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعْدِهِۦ ۚ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْمَٰعِيلَ وَإِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ وَٱلْأَسْبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيْمَٰنَ ۚ وَءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ زَبُورًا ﴾ (النساء:١٦٣) قال : «وبعض العرب يهمز ويكسر النون ، وبعض أسد يهمز ويضم النون»[3] فالبعض الأول فى هذا النص ، يجوز أن يكون من قيس أو من إحدى بطونها ، لأن القيسيين كما سبق أن قلنا ، أكثر العرب تهميزًا ، ولأن أحد بطونهم ، وهم بنو نمير ، كانوا يهمزون كل واو ساكنة قبلها ضمة ، كما حدّثت رواية ابن سيده السابقة ، فلا يبعد أن يكون قارئ «يونس» بالهمز وكسر النون ، قد تأثر بلهجة قيس ، إن لم يكن منهم ، وقد يرجح ذلك أن صاحب هذه القراءة هو طلحة ابن مصرف ، وهو أيضًا قارئ «يؤسف» بالهمزة وكسر السين[4]، فى قوله تعالى : ﴿ وَوَهَبْنَا لَهُۥٓ إِسْحَٰقَ وَيَعْقُوبَ ۚ كُلًّا هَدَيْنَا ۚ وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِۦ دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ (الأنعام:٨٤) وطلحة هذا قارئ كوفى (ت ١١٢هـ)[5]، فلا يبعد أن يكون قد سمعها من بعض أفراد قيس الذين كانوا يسكنون الكوفة .

---

(١) القاموس المحيط ج٤ ص٢٠٨.

(٢) معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج٢ ص٨٠١.

(٣) البحر المحيط ج٣ ص٣٩٧.

(٤) مختصر فى شواذ القراءات ص٣٠.

(٥) طبقات القراء لابن الجزرى ج١ ص٣٤٣.

ومما أثر عن بنى أسد أيضًا ما حكاه أبو حيان إذ قال : « قرأ عاصم والأعمش ، ويعقوب فى رواية ، بالهمز فى يأجوج ومأجوج ، وكذا فى الأنبياء ، وهى لغة بنى أسد ، ذكره الفراء ، قيل ولا وجه له إلا اللغة المحكية عن العجاج أنه كان يهمز العألم والخأتم ، وقرأ باقى السبعة بألف غير مهموزة وهى لغة كل العرب غير بنى أسد »[1] والاستشهاد بهاتين اللفظتين هنا ، يصح على رأى من جعل ألفهما زائدة ، واشتقهما من المج واليج ، بوزن فاعول ، أما من جعلهما مشتقين من أج النار ، أو من الأجة وهى سرعة الاختلاط أو شدة الحر ، أو من الأج وهو سرعة العدو ، فلا يصح الاستشهاد بهما على قوله ، لأن النبر فيهما يكون من الهمز المحقق وليس من التهميز ، ويبدو لى أن احتمال أخذهما من المج واليج هو الأرجح ، كما هو ظاهر رواية أبى حيان ، لأنه لو صح التحقيق فى لغة بنى أسد ، لا يصح أن يكون التخفيف لغة كل من عداهم من العرب ، بدويين وحضريين ولأن وزن فاعول فى اللغة أكثر من وزن يفعول ، فالتهميز فيهما احتمال قوى على لغة بنى أسد .

* * *

كذلك أثر التهميز عن قبيلة تميم ، فقد « روى أن قريشًا كلها ومن جاورها من قبائل العرب كهذيل ، وسعد بن بكر وكنانة ، يقولون سورة بغير همز ، بينما تميم يهمزون فيقولون سؤرة »[2] وهذا اللون يشبه ما جاء عن قيس وأسد من تهميز الواو الساكنة المضموم ما قبلها ، وقد جاء ذلك عن رؤبة فى بيته المشهور :

أحـــب المؤقـــدين إلى مؤســـى وجعـــدة إذ أضـــاءهما الوقـــود

ورؤبة هذا تميمى[3]، فلا غرابة أن يقول فى الموقد : المؤقد ، وفى موسى : مؤسى . ويمكن أن تحمل على هذه اللهجة قراءة قوله تعالى : ﴿ وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَٰرِغًا ﴾ (القصص:١٠) حيث حكى فيها مؤسى بالتهميز[4]. وقد أثر عن

---

(١) البحر المحيط ج٦ ص١٦٣.

(٢) مقدمتان فى علوم القرآن ص٢٨٣، ٢٨٤.

(٣) انظر رغبة الآمل من كتاب الكامل للشيخ المرصفى (سيد بن على) ج١ ص٩٨. الطبعة الأولى ١٣٤٦هـ ١٩٢٧م مطبعة النهضة.

(٤) انظر المحتسب لابن جنى ج٢ ص١٤٨ .

تميم أيضًا تهميز الياء الساكنة المكسور ما قبلها ، كقولهم فى (الشِّيمة) التى هى الطبيعة : (شئمة) ، حكى ذلك أبو زيد واللحيانى[1]، ومن هذا القبيل قولهم : (الميشار) ، فقد « زعم الفارسى أن تميمًا تهمز الميشار (أى تقول المئشار) وغيرهم لا يهمزه»[2] ويبدو أن قبيلة تغلب كانت تشارك تميمًا فى تهميز هذا اللفظ ، نفهم ذلك من قول الشاعر :

لقد عيّل الأيتـامَ طعنـةُ ناشـرهْ أنا شرَ لا زالت يمينـك آشـرهْ[3]

أى لا زالت يمينك مأشورة ، قال ابن برى : هذا البيت لنائحة همام بن مرة ابن ذهل بن شيبان . ويغلب على الظن أن هذه النائحة من قبيلة تغلب ، لأن المبكى عليه همام بن مرة من تغلب ، ولا شك فى أنها كان تنطق (المئشار) بالتهميز ، لأنها لو كانت تقول (المنشار) بالنون كما هو شائع بيننا الآن ، لقالت فى عجز البيت السابق ، لا زالت يمينك ناشرة : أى منشورة ، ولو كانت لهجتها (الميشار) بالياء ، لقالت : لا زالت يمينك واشرة ، أى موشورة . هذا وليس التهميز بغريب فى لهجة تغلب ، لأن نسبها ينتهى إلى أسد بن ربيعة ، كما أنها كانت تسكن بالجزيرة الفراتية ، بجهات سنجار ونصيبين ، مما يعرف بديار ربيعة[4]. كذلك روى عن تميم أنها كانت تقلب الألف المتطرفة همزة فى حالة الوقف ، فتقول فى حرف النفى (لا) (لأ) [5]، وفى لفظ (العُلَى) : (العلأ) وغيرهم يبقيها على حالها[6]. فتميم إذن أثر عنها التهميز فى حروف المد الثلاثة الألف والواو والياء .

---

(١) انظر الخصائص ١٤٥/٣، واللسان شأم ٢١٧٨/٤ ـ والمناهج الكافية فى شرح الشافية للشيخ زكريا الأنصارى ٤٩٨ رسالة دكتوراه، تحقيق د/ محمد إبراهيم محمد عبد الله.

(٢) مقدمة كتاب الإبدال لأبى الطيب اللغوى ص١٤.

(٣)البيت من بحر الطويل، قالته نائحة همام بن مرة من بكر بن وائل، ويقال إن أم همام قالته، ينظر: الخصائص ١٥٢/١. إصلاح المنطق ١٤. لسان العرب (أشر)، والصحاح (أشر)، وتاج العروس (أشر).

(٤) معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج١ ص١٢٠ (بتصرف).

(٥) تاريخ الأدب للأستاذ حفنى ناصف ص٢٧.

(٦) الوسيط فى الأدب العربى وتاريخه ص١٤ بالهامش. ط: الخامسة.

وقد جاء التهميز كذلك فى لهجة بنى كلب ، «قال أبو زيد وسمعت رجلاً من بنى كلب يقول هذه دأبّة ، وهذه امرأة شأبّة ، فهمزوا الألف فيهما»[1] ولو نظرنا فى معجم القبائل العربية لوجدنا أن عدة قبائل تسمى بهذا الاسم ، تنتسب إلى خثعم وغطفان وجهينة وبجيلة وقضاعة ، والأقرب إلى الصواب أن تكون هذه القبيلة هى كلب بن وبرة من قضاعة ، لأنها كانت تنزل دومة الجندل وتبوك وأطراف الشام[2] فهى بدوية ، أما خثعم وغطفان وجهينة وبجيلة فكلها من القبائل التى كانت تسكن بلاد الحجاز .

* * *

وجاء التهميز أيضًا فى لهجة طيئ ، فقد كانت تقف على الألف المتطرفة بالهمزة ، قال أبو حيان وبعض طيئ أيضًا يقلبها همزة ، يقول : هذه أفعأ ، ورأيت أفعأ ، ومرت بأفعأ ، وليس من لغته التخفيف ، قال سيبويه وكذلك كل ألف فى آخر الاسم[3] فقول أبى حيان عن لهجة هذا البعض من طيئ : وليس من لغته التخفيف يُفهم أن تهميز الألف فى حالة الوقف هو لهجتهم التى لا يعرفون غيرها ، فهم لا يقولون (أفعى) بالألف كما يقول كل العرب ، وقول سيبويه يفهم منه أن التهميز عندهم ليس مقصورًا على هذا اللفظ وحده ، وإنما هو عام فى كل ما كان منتهيًا بالألف ، ولا نعجب من ذلك إذا عرفنا أن طيئا قبيلة قحطانية ، كانت منازلهم باليمن ، ثم خرجوا منه ونزلوا فى جوار بنى أسد ، ثم غلبوهم على أجأ وسلمى ، فاستقروا بهما ، ثم ورثوا من بلادهم فيما وراء الكرخ من أرض غفر ، ثم ورثوا منازل تميم بأرض نجد فيما بين البصرة والكوفة واليمامة ، وورثوا غطفان فيما يلى وادى القرى ، وبعبارة أخرى ملأوا السهل والجبل حجازًا وشآمًا وعراقًا[4]، فطيئ إذن قبيلة كبيرة خالطت بنى أسد وبنى تميم واستقرت فى وسط

---

(١) لسان العرب ج٨ ص١٤ من الطبعة القديمة (ج ن ن).

(٢) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج٣ ص٩٩٠ ، ص٩٩١.

(٣) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج١ ص٢٢٥.

(٤) معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج٢ ص٦٨٩، ص ٦٩٠ (بتصرف).

الجزيرة وفى الحجاز ، فاحتمال أن يكون البعض الذى من لهجته التهميز ممن كانوا فى وسط الجزيرة ، مجاورين لتميم وأسد أمر غير بعيد .

* * *

بقيت رواية واحدة وهى تفيد أن التهميز وجد فى لسان (عكل) التى كانت تقول : ترقؤه بالهمز وأصلها ترقوه[1] . وعكل هذه إحدى بطون قبيلة الرِباب ، والرِّباب إحدى بطون خندف ، وكانت الرباب تعيش بالدهناء[2]، فهى من قبائل شرق الجزيرة ، ويمكن أن يوجد التهميز فى لهجتها .

تعقيب :

أولاً : من خلال الروايات السابقة يؤخذ أن التهميز من اللهجات الخاصة بالأعراب البدويين ، فى قبائل قيس ، وغنى ، وسُليم ، وبنى عقيل ، وبنى نمير ، وأسد ، وتغلب ، وتميم ، وكلب ، وطيئ ، وعكل ، وأنه أكثر ما يكون فى لهجات قيس وبطونها .

ثانيًا : من النظر فى تلك الروايات يستفاد أن التهميز يقع فى الأسماء أكثر منه فى الأفعال ، وأنه يقع فى حروف المد الثلاثة الألف والواو والياء ، إلا أنه فى الواو الساكنة المضموم ما قبلها أكثر منه فى غيرها ، بدليل أن الكلمات التى من هذا اللون اشترك فى تهميزها أكثر من قبيلة واحدة ، مثل أسد وتميم وبنى عقيل ، وبنى نمير ، وأكثرهم تهميزها له هم بنو نمير .

ثالثًا : إذا وردت بعض أمثلة للتهميز ، ولم تنص الرواية على نسبتها إلى قبائلها يمكن بعد النظر المتأنى فيها ، ردها إلى الناطقين بها ، من القبائل السابقة فإذا حكى[3] لنا ابن خالويه فى تثنية اسمى الإشارة والموصول هذأنّ ، بالهمزة وتشديد النون ، واللذأنّ مهموز عن بعضهم ، فى قراءة قوله تعالى :

---

(١) الخصائص ج٣ ص٢٠٧.

(٢) راجع ص٤٩، ٥٠ ج١ من كتاب العرب وأطوارهم الأستاذ محمد عبدالجواد الأصمعى .

(٣) انظر مختصر فى شواذ القراءات ص٢٥ .

﴿ هَـٰذَانِ خَصْمَانِ ﴾ (الحج:١٩)، وقراءة قوله تعالى : ﴿ وَٱلَّذَانِ يَأْتِيَـٰنِهَا مِنكُمْ فَـَٔاذُوهُمَا ﴾ (النساء:١٦)، أمكن بعد التأمل فى هاتين القراءتين ، ردهما إلى لهجة تميم وقيس ، لأن سائر العرب ينطقها بتخفيف النون : هذان واللذان ، «وتميم وقيس تشدد النون فيهما»[١] فالظاهر أن تهميز الألف فيهما مع التشديد ، من قراءات بعض الأعراب فى هاتين القبيلتين .

رابعًا : إن التعليل للتهميز بأنه من باب التوهم كما قال الفراء[٢]، أو بأنه من المبالغة فى التفصح[٣]، أو المبالغة فى التمدن[٤]، أو من القياس الخاطئ - إن كل ذلك لا يفسر السبب الجوهرى لحدوث التهميز ، وإنما يشرح الظروف الخارجية ، التى صاحبت ظاهرة التهميز ، أما السبب الحقيقى فيه ، فهو أمر يتعلق بالمقاطع ، واستساغة بعضها أكثر من البعض الآخر فى لسان الأعراب البدويين ، ففى نحو (أفعى ، والعلى ، ولا) التى ينطقها البدو بالهمزة بدلاً من الألف فى حالة الوقف ، يمكن أن يكون السبب فى تهميزها هو إيثار المقطع المقفول على المقطع المفتوح فى أواخر الكلمات ، وفى نحو (يوقنون ، ويونس ، ويوسف ، وموسى ، وحوت ، وسورة وموقد ، وميشار ، وضيزى) يمكن أن نعلّل التهميز بإيثار المقطع المقفول أيضًا على المفتوح فى أوائل الكلمات ، وفى نحو (شابة ، ودابة ، وهذان ، واللذان) يمكن أن يعلل لتهميزها بالتخلص من المقطع الطويل المقفول ، وذلك بتقسيمه إلى مقطعين أقصر منه ، أحدهما مفتوح والآخر مقفول ، وهكذا .

* * *

ثالثًا : قبائل التحقيق :

قلنا فى صدر الحديث عن التهميز إن تحقيق الهمز هو المحافظة على الهمزة فى الكلمة المهموزة أصلاً ، ونلاحظ ابتداء أن الروايات التى تنسب الهمز المحقق إلى

---

(١) أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك ص٢٥ .

(٢) لسان العرب ج١ ص١٠.

(٣) لحن العامة والتطور اللغوى ص١٢٩.

(٤) بقايا اللهجات العربية د. أنوليتمان ص٢٢ مجلة كلية الآداب المجلد العاشر الجزء الأول مايو ١٩٤٨م .

قبائله روايات قليلة ، إذا ما قورنت بروايات التهميز ، أو بروايات التسهيل ، ويبدو أن السبب فى ذلك هو أن اللغة النموذجية حرصت على تحقيق الهمز فى أدائها اللغوى ، فكان أمرًا مألوفًا ، ومن هنا لم تكن برواة اللغة حاجة إلى أن ينصوا على نسبة الألفاظ المهموزة إلى الناطقين بها من القبائل العربية ، لأنها خرجت من دائرة اللهجة إلى دائرة اللغة ، ولأنه قد اشتهر أن القبائل البدوية هى التى تحقق الهمز وتحافظ عليه ، وبذلك يمكن التماس العذر لرواة اللغة فى قلة الروايات التى وردت عنهم فى نسبة الهمز المحقق إلى قبائله .

ومن تلك الروايات القليلة ما جاء فى المزهر للسيوطى ، من أن أهل الحجاز يقولون (سل ربك) وأن تميمًا تقول (اسأل)[1]. فتميم وهى قبيلة بدوية تحافظ على الهمزة فى هذا الفعل ، بينما يتخلص منها أهل الحجاز بالنقل والحذف ، كما هو القياس عند النحويين ، وقد وردت قراءة هذا الفعل فى القراءات[2] بكلتا اللهجتين ، إذا كان واقعًا بعد واو العطف أو فائه ، فى كل مواضعه من القرآن ، فابن كثير والكسائى وخلف يقرءونه بالنقل والحذف على لهجة الحجازيين ، أما بقية القراء العشرة فيقرءونه بتحقيق الهمزة على لهجة بنى تميم ، وإذا لم يسبق بالواو أو بالفاء ، فالظاهر أن الجميع يقرءونه على لهجة أهل الحجاز ، بدليل قراءة حفص عن عاصم ﴿ سَلْ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴾ (البقرة:٢١١) ، من غير همز على النقل والحذف . وجاء فى المزهر أيضًا أن أهل الحجاز يقولون : جونة بلا همز ، وأن تميمًا تقول : جؤنة بالهمز[3]، وجاء فيه أيضًا أن الحجازيين يقولون : الوكاف ، وقد أوكفت ، وأن تميمًا تقول : الإكاف وقد آكفت ، وأن الحجازيين يقولون أوصدت الباب ، إذا أطبقت شيئًا عليه ، وأن تميمًا تقول : آصدت . وأن أهل الحجاز يقولون : وكدت توكيدًا ، وأن تميمًا تقول أكدت تأكيدًا[4]. فالتميميون كما يدل هذا النص يبدلون من الواو المكسورة فى أوائل الكلمات همزة ، ويدل على ذلك أيضًا ما جاء فى لسان العرب ، قال «الوقط ، والوقيطة : حفرة فى غلظ أو جبل ، يجتمع فيه ماء

---

(١) المزهر ج٢ ص١٧٦.
(٢) انظر تقريب النشر فى القراءات العشر ص٣٧.
(٣) المزهر ج٢ ص١٧٦.
(٤) المرجع السابق ج٢ ص١٧٦.

السماء ، والجمع وِقْطان ، ووقاط ، وإقاط ، الهمزة بدل من الواو ، ولغة تميم فى جمعه الإقاط مثل إشاح ، يصيرون كل ما ورد على هذا المثال ألفًا[1]، وعلى هذه اللهجة جاء قول رؤبة :

إن لنـــا أحمـــرة عجافـــا يـــأكلن كـــل ليلـــة إكافـــا[2]

ففى كلمة (إكاف) أبدل من الواو المكسورة همزة ، لأن أصلها (وكاف) ورؤبة فى هذا يجرى على لغة قومه ، لأنه من بنى تميم .

وقد ورد مثل هذا الإبدال أيضًا فى لهجة هذيل ، قال أبو حيان فى قوله تعالى : ﴿ ثُمَّ ٱسْتَخْرَجَهَا مِن وِعَآءِ أَخِيهِ ﴾ (يوسف:٧٦) (وقرأ سعيد بن جبير ، من إعاء أخيه ، بإبدال الواو المكسورة همزة ، كما قالوا إشاح وإسادة ، فى وشاح ووسادة وذلك مطرد فى لغة هذيل ، يبدلون من الواو المكسورة الواقعة أولاً همزة»[3] ، واطراد ذلك عند هذيل يمكن أن نعتبره أثرًا من آثار اللغة الفصحى ، أو يمكن أن يكون السبب فيه هو مجاورتها للقبائل البدوية ، ولا سيما أن هذيلاً من القبائل التى امتلكت مياها وأماكن فى جهات نجد وتهامة[4] وكانوا يجاورون فى جبالهم قبيلتى فهم وعدوان ابنا عمرو بن قيس عيلان[5].

---

(١) اللسان ج٩ ص٣١٥.

(٢) البيتان من الرجز، وهما فى ديوان رؤبة بن العجاج ص٢٧٧، ونسبا فى شرح شواهد الشافية ص٣٦٧ مع آخرين إلى أبى حزابة الوليد بن حنيفة أحد بنى ربيعة بن حنظلة بن مالك بن زيد مناة من بنى تميم من شعراء الدولة الأموية، وهما غير منسوبين فى لسان العرب وتاج العروس (أكف).

وعلى تلك اللهجة التميمية التى تبدل من الواو المكسورة همزة جاء قول العجاج:

حتى إذا ما آضَ ذا أغراف
كالكوْدَن المشدود بالوكافَ
قال الذى عندكَ لى صوافى

الشاهد فيه بالوكاف، حيث يروى بالإكاف، بالهمزة المكسورة فى مكان الواو المكسورة، ووكاف الحمار وإكافه: برذعته - انظر ديوان العجاج ص٤٠ والمحتسب ٨٢/٢ .

(٣) البحر المحيط ج٥ ص٣٧٢.

(٤) قلائد الجمان ص١٣٤.

(٥) معجم ما استعجم (ج١ ص٨٨).

ومن القبائل التى تحقق الهمزة أيضًا ، قبيلة طيىء ، جاء فى لسان العرب «السُّودَدُ : الشرف معروف ، وقد يهمز وتضم الدال طائية ، قال الأزهرى : السؤْدد بضم الدال الأولى لغة طيىء»[1]، والمقصود بطيىء فى هذا النص بعضهم ممن كانوا يعيشون فى قلب الجزيرة ، مجاورين لتميم وأسد ، وليس المقصود أن جميعها ينطق بالهمز المحقق ، لأن طيئًا قبيلة عظيمة ملكت ديار تميم وأسد وغطفان ونزلت العراق والشام والحجاز[2]. ومن القبائل التى نسب إليها التحقيق أيضًا تيم الرباب ، قال صاحب اللسان : اجتمعت العرب الذين يهمزون والذين لا يهمزون ، على ترك الهمز كقولك : يرى ، وترى ، ونرى ، وأرى ، قال وبها نزل القرآن ، إلا تيم الرباب ، فإنهم يهمزون مع حروف المضارعة ، فتقول : يرأى ، وترأى ونرأى ، وأرأى ، وهو الأصل ، فإذا قالوا : متى نراك قالوا : متى نرآك مثل نرعاك ، وبعض العرب يقلب الهمزة قلبا مكانيا ، فيقول : متى نراؤك مثل نراعك ، قال ابن سيده : وأنشد شاعر تيم الرباب : قال ابن برى هو للأعلم بن جرادة السعدى :

ألم ترأ ما لاقيت والـدهر أعصـر ومن يتملّ العيش يرأ ويسـمع[3]

فإذا جئت إلى الأمر ، فإن أهل الحجاز يتركون الهمزة فيقولون : رَذلك ، وللاثنين ريا ذلك ، وللجماعة روْا ذلك ، وللمرأة رىْ ذلك ، وبنو تميم يهمزون جميع ذلك فيقولون إرأَذلك ، وإرأيا ، ولجماعة النساء إرأين[4] . نعم قد يستفاد من هذه الرواية أن قبيلة تيم الرّباب هى التى كانت تقول فى المضارع وحدها ترأى بالهمز على الأصل ، ولكن ما نقله شارح شواهد الشافية عن أبى زيد يفيد

---

(١) لسان العرب ج٤ ص٢١٣.

(٢) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج٢ ص٦٨٩، ص٦٩٠ .

(٣) البيت من بحر الطويل ، منسوب إلى الأعلم بن جرادة السعدى فى نوادر أبى زيد ١٨٥، ١٨٦، وبلا نسبة فى جمهرة اللغة ٢٣٤/١ ، والمحتسب ١٢٩/١ ، وسر صناعة الإعراب ٨٧/١ ، وشرح شواهد الشافية ٣٢٩ ، ونسب فى اللسان (رأى) للأعلم بن جرادة، وهو فى المعجم المفصل ٣٣٩/٤ .

تملّى العيش: استمتع به.

(٤) اللسان العرب ج١ ص٤، ص٥.

غير ذلك ، فقد أنشد أبو زيد لأعرابى من تميم عدة أبيات منها هذا البيت :

لـمّا استمر بـها شيحان مبتجح بالبين منك بمـا يـرآك شـنآنا[1]

وجاء فى شرح الشواهد أيضًا منسوبًا إلى سراقة البارقىّ :

أُرى عـينى مـا لم ترأيـاه كلانـا عـالم بالترّهـات[2]

إذن فتحقيق الهمزة فى المضارع (يرأى) وفروعه ، من لهجة تميم وتيم الرباب ، وقبيلة بارق التى ينتهى نسبها إلى سعد بن عدى بن حارثة ، وكان قد سمى بارقا بجبل نزله بالسَّراة . وليس معنى أن تميمًا تقول فى الأمر : إرأ ذلك ، أن غيرها لا يقول ذلك ، بل ربما شاركتها قبيلة أو أكثر من القبائل البدوية فى ذلك النطق ، ويؤكد ذلك أن أبا حيان قال : ونقل صاحب اللوامح ترأ بهمزة مفتوحة مع سكون الراء على الأصل وهى لغة لتميم »[3].

ومن القبائل التى نسبت إليها الروايات بالتحقيق قبيلة قيس ، جاء فى البحر المحيط : « جبريل كقنديل وهى لغة أهل الحجاز . . . وجبرئيل كعنتريس ، وهى لغة تميم وقيس ، وكثير من أهل نجد ، حكاها الفراء واختارها الزجاج ، وقال هى

---

(١) البيت من بحر البسيط، ويروى (ثم) مكان (لما) و(مبتجح) مكان (مبتجح) و(عنك) مكان (منك) وهو غير منسوب فى النوادر لأبى زيد ١٨٤، وتهذيب اللغة (شاح)، والمحتسب ١٢٩/١، وشرح المفصل لابن يعيش ١١٠/٩، ولسان العرب (بجح) و(رأى)، و(شيح)، وتاج العروس (رأى)، ونسبه البغدادى فى شرح شواهد الشافية إلى أعرابى من بنى تميم ٣٣٠ نقلاً عن أبى زيد من كتاب الهمز ضمن ثلاثة أبيات، وينظر المعجم المفصل ١٨/٨.

الشّيحان بالفتح ويكسر: الغيور - المبتجح: الفخور.

(٢) البيت من بحر الوافر، قاله سراقة البارقى وهو فى ديوانه ٧٨، وينظر النوادر لأبى زيد ١٨٥، وسر الصناعة ٨٦/١، والخصائص ١٥٣/٣، والمحتسب ١٢٨/١، وتهذيب اللغة (رأى)، وأمالى الزجاجى ٨٧، والأغانى ١٣/٩، والممتع لابن عصفور ٦٢١، ولسان العرب (رأى)، وشرح شواهد الشافية للبغدادى ٣٢٢، ٣٢٣، ٣٢٤، ٣٢٩، وشرح المفصل ١١٠/٩، والمغنى ٢١٨/١، وابن الشجرى ٢٠/٢، والمناهج الكافية ٤١٨ (رسالة دكتوراه) ، والصحاح ٢٣٤٧/٦ - ٢٣٤٨، وجمهرة اللغة ٢٣٥/١، والمعجم المفصل ٥٣٨/١.

والتّرهات : الأباطيل. واحدها تُرَّهة.

قال البغدادى فى ٣٢٢: قال ابن جنى فى المحتسب من سورة البقرة: «قرأ أبو عبد الرحمن السلمى (ألم تَرْأ إلى الملأ) ساكنة الراء، وهذا لعمرى أصل هذا الحرف، رأى يرأى كرعى يرعى.

(٣) البحر المحيط ج٨ ص٥١٢.

أجود اللغات»[1] فهذه الروايات يفيد جميعها أن قبائل شرق الجزيرة مثل قيس وتميم وتيم الرباب وغيرها من أهل نجد وبعض طيئ وبعض هذيل يحققون الهمزة ولا يسهلونها ، لكن ليس معنى ذلك أن التحقيق مطرد فى لهجاتها بحيث لا يتخلف ، وإنما قد تعدل عن التحقيق إلى التسهيل لسبب أو لآخر ، كذلك قد يعدل أهل الحجاز عن التسهيل إلى التحقيق فى بعض الأحيان ، فمثلاً نجد تميمًا تقول هيهات بينما يقول أهل نجد أيهات[2] ونجد أهل الحجاز يقولون ذأى البقل ، بينما تقول تميم ذوى يذوى[3]. ومن الأبواب التى لم يلتزم فيها التميميون والحجازيون بطريقة ، باب المقصور والممدود ، فقد كنا نتوقع أن يكون الممدود لهجة تميمية ، وأن يكون المقصور لهجة حجازية ، وهذا ما جاءت به فعلاً بعض الروايات ، قال اللحيانى : (الزّنى مقصور) لغة أهل الحجاز ، قال تعالى : ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ ٱلزِّنَىٰٓ ﴾ (الإسراء:٣٢) بالقصر ، (والزناء ممدود لغة بنى تميم ، وفى الصحاح المد لأهل نجد[4]. ولكن بعض الروايات الأخرى تنقض هذه القاعدة ، جاء فى شرح ابن عقيل : الأولى مقصورة لغة تميم وأولاء ممدودة لغة أهل الحجاز[5] وأمام هذا التناقض لا نستطيع إلا أن نقول إن الممدود هو الأصل فى لهجة تميم ، وإن المقصور هو الأصل فى لهجة الحجاز ، وإن كلا منهما كان يستعمل لهجة الآخر تأثرًا به ، وهذا ما نص عليه ابن جنى حين قال : إن بعض التميميين فى بعض الألفاظ ، كانوا يتركون لهجتهم إلى لهجة الحجازيين ، وإن هؤلاء يفعلون ذلك أيضًا[6] .

لكن عدم الالتزام بمنهاج نطقى ، سواء من جانب التميميين أو من جانب الحجازيين ، لم يحدث إلا نادرًا ، ولم تأت به إلا روايات قليلة ، يمكن تأويلها أو غض النظر عنها .

* * *

(١) البحر المحيط ج١ ص٣١٨.
(٢) المزهر ج٢ ص١٧٦.
(٣) المرجع السابق جـ١ ص٢٧٤.
(٤) اللسان ج١٩ ص ٧٥ (مادة زنا).
(٥) انظر شرح ابن عقيل ص٦٤.
(٦) المحتسب لابن جنى جـ١ صـ ٢٦١ ، ٢٦٢ .

رابعًا : قبائل التّسهيل :

تكاد تجمع الروايات القديمة على أن البيئة الحجازية ، المتمثلة فى قريش وما جاورها من القبائل العربية ، تنفر من الهمز فتتخلص منه بالحذف أو بتقريبه من أصوات اللين ، أو بتحويله إليها ، قال أبو زيد : أهل الحجاز وهذيل وأهل مكة والمدينة لا ينبرون ، وقف عليها عيسى بن عمر فقال ، ما آخذ من قول تميم إلا بالنبر وهم أصحاب النّبر ، وأهل الحجاز إذا اضطروا نبروا[1]. «فقوله لا ينبرون أى لا يحققون الهمز الأصلى ، ولا يهمزون ما ليس مهموزًا أصلاً ، اللهم إلا فى حال الاضطرار ، «ومعنى نبر الحجازيين عند الاضطرار ، خروجهم على سليقتهم فى تسهيل الهمزة ، فى غير لهجات خطابهم العادية ، لشعورهم بأن تحقيق الهمزة فى الأساليب الأدبية من شعر وخطابة أقرب إلى الفصاحة من تسهيلها»[2]، وعلى ذلك فمفهوم الاضطرار فى قول عيسى بن عمر يمكن أن يكون معناه : إن الحجازيين إذا اصطنعوا اللغة المشتركة ، حققوا الهمز ، كما يمكن أن يكون عيسى ابن عمر قد قصد بذلك الهمزة التى توجد فى أول الكلمة»[3]، لكن الاحتمال الأول من هذين ، هو القوى الراجح ، لأن عيسى بن عمر لم يكن يغيب عنه أن تحقيق الهمزة فى أول الكلمة ، مطرد فى لسان العرب جميعًا بما فيهم من الحجازيين ، والاطراد والاضطرار لا يجتمعان على شىء واحد كهذا ، وربما كان المراد من الاضطرار فى النص السابق «أن الشاعر قد يضطره الوزن الشعرى إلى أن يبدل من الحرف همزة ، كما ورد ذلك فى قول الشاعر :

فأقسم لو لاقى هلالا وتحته ... مصك كذيب الرّدهة المتأوب
لأدّاها كرها أو أصبح بيته ... لديه من الإعوال نوح مسلّب[4]

---

(١) لسان العرب ج١ ص١٤.

(٢) دراسات فى فقه اللغة ـ د. صبحى الصالح ص ٧٨ .

(٣) فصول فى فقه العربية ـ د. رمضان عبد التواب ص٦٨ .

(٤) البيتان من بحر الطويل، غير منسوبين فى شرح السيرافى على سيبويه ٢٧٢/١ (مخطوط فى دار الكتب المصرية بمكتبة تيمور رقم ٥٢٨ نحو) ـ وينظر: اللهجات العربية فى التراث ٢٤٤، [٣١٨ اللهجات العربية فى التراث ط ١٩٨٣ طرابلس] والمعجم المفصّل ٣٠٥/١، ١٨٦/٢، ١٥٠/٥.

قال السيرافى على شرح سيبويه : فهمز الألف فى أدّأها لأنه لو تركها ساكنة لم يستقم البيت ، ومثل الضرورة السابقة ضرورة أخرى جعلت الشاعر كُثَيِّرًا الخزاعى يهمز فى غير موضع الهمز ، قال :

وللأرض أما سودها فتجللت بياضا وأما بيضها فادهأمت[1]

ومما يؤيد هذا الرأى أننا نجد كثيرًا من قراء الحجاز ، كابن كثير المكى ، فى جل قراءاته المشهورة ، وكأبى جعفر ونافع المدنيين فى بعض الأحيان ، يقرءون بالهمز المحقق « ولم يقل أحد إنهم كانوا مضطرين عندما يحققون الهمز »[2].

هذا ، ولم يكن الحجازيون يفرون من الهمز فحسب ، بل كانوا ينفرون من سماعه ، وينكرونه على ناطقه ، ففى حديث أخرجه الحاكم فى المستدرك عن أبى الأسود عن أبى ذر ، وقال إنه صحيح على شرط الشيخين ، جاء قول أعرابى للنبى ﷺ : يا نبئ الله ـ بالهمز ـ ، أى الخارج من مكة إلى المدينة فأنكر النبى ﷺ عليه الهمز ، قال شارح القاموس : لأنه ليس من لغة قريش ، ألا ترى إلى قول سيدنا رسول الله : إنا معشر قريش لا ننبر ، ويروى أنه قال للأعرابى « لا تنبر باسمى »[3] ، ومن الروايات التى تفيد نفور القرشيين من الهمز قول سيدنا على كرّم الله وجهه : « نزل القرآن بلسان قريش وليسوا بأصحاب نبر ، ولولا أن جبرائيل عليه السلام نزل بالهمز على النبى ﷺ ما همزنا »[4]، ومنها أيضًا قول ابن منظور « لم تكن قريش تهمز فى كلامها ، ولما حج المهدى قدم الكسائى يصلى بالمدينة ، فهمز ، فأنكر أهل المدينة عليه ، قاله وقالوا تنبر فى مسجد رسول الله ﷺ بالقرآن!![5]. « فهذه الروايات وما شاكلها ، تدل دلالة صريحة على أن النطق بالهمز

---

(١) البيت من بحر الطويل، قاله كثير عزّة الخزاعى من قصيدة يرثى بها عبدالعزيز بن مروان، وهو فى ديوانه ٣٢٣، وفى سر صناعة الإعراب ٨٤/١، وفى المحتسب ٤٧/١، ٣١٢/١، وفى الموشح للمرزبانى ١٤٦ (المطبعة السلفية ١٣٤٣هـ)، وفى الخصائص لابن جنى ١٢٧/٣، ١٤٨ برواية:

وللأرض أما سودها فتجللت بياضا وأما بيضُها فاسوأدت

وهو فى المخصص ١٦٦/١٠، وفى المعجم المفصل ٥٥٥/١.

(٢) اللهجات العربية فى التراث ٢٤٥ . = [٣١٩ اللهجات العربية في التراث] ط طرابلس .

(٣) تاج العروس ج١ ص١٣٢ (بتصرف).

(٤) شرح الرضى على الشافية ج٣ ص٣٢.

(٥) لسان العرب ج٧ ص٤٠ – مادة (ن ب ر) .

لم يكن من عادات القرشيين الكلامية ، ولا من سلائقهم اللغوية ، ولكن ذلك ليس معناه ، أن قريشًا لم تكن تهمز فى كلامها أبدًا ، أو لم تكن تستطيع النطق بالهمز ، لأنها كانت تهمز فى أول الكلام ، وعند الاضطرار كما سبق في قول عيسى بن عمر ، وليس معناه أن الهمز بدعة ، كما جاء فى الحديث الذى رواه موسى بن عبيدة عن نافع عن ابن عمر ، قال : « ما همز رسول الله ﷺ ، ولا أبو بكر ، ولا عمر ، ولا الخلفاء ، وإنما الهمز بدعة ابتدعوها من بعدهم[1]، « إذْ كيف يكون الهمز بدعة ، وهو سمة لهجية ، ولا يستطيع العربى أن يتخلى عنه ، ولا سيما إذا كان هذا العربى من أهل التحقيق ، ثم كيف يتفق هذا الحديث مع الروايات القرآنية التى جاءت بتحقيق الهمزات فى كثير من الآيات!! »[2]، أضف إلى هذا ما جاء فى النشر من قول أبى شامة الحافظ « هو حديث لا يحتج بمثله ، لضعف إسناده ، فإن موسى بن عبيدة هذا ، هو الزّيدى ، وهو عند أئمة الحديث ضعيف »[3] .

وأيًّا ما كان فإن النصوص والروايات التى جاءت متناثرة فى بطون كتب اللغة والتفسير والقراءات ، تفيد أن قبائل الحجاز عامّة ، وقريشًا بخاصة ، كانت تتخلص من الهمز فى كلامها ، وأن ذلك كان سليقة فى ألسنتهم ، وعادة لغوية لهم ، حتى إن أفصح الفصحاء منهم ممن كانوا يتكلمون العربية ، كانَ يترك الهمزة ، جريًا على عادته اللغوية ، واستجابة للسليقة التى نشأ عليها ، ففى حديث النبى ﷺ « من محمد رسول الله إلى الأقيال العياهلة من أهل حضرموت بإقام الصلاة ، وإيتاء الزكاة ، على السبعة شاة ، والتِّيمة لصاحبها ، وفى السُّيوب الخمس ، لا خلاط ، ولا وِراط ، ولا شناق ولا شغار ومن أجبى فقد أربى ، وكل مسكر حرام »[4] ، تراه ﷺ ، قد حول الهمزة فى قوله (ومن أجبى) وأصلها (أجبأ) إلى الألف ، وهذا التحويل وإن كانت قد دعت إليه المزاوجة بين « أجبى وأربى » ، إلا أنه مما يتفق مع سليقته اللغوية ، لأنه قرشى يميل إلى التخلص من الهمز ، وإن لم توجد

---

(١) الإتقان للسيوطى ج١ ص١٠٠.

(٢) اللهجات العربية كما تصورها كتب النحو واللغة ص٢٤٣ « [٣١٧ اللهجات العربية فى التراث].

(٣) النشر فى القراءات العشر ج١ ص٤٢٢.

(٤) تاج العروس ج١ ص٥٠ (مادة جبأ)- هذا حديث وائل بن حُجْر ، وكتاب النبىّ ﷺ له .

المزاوجة ، يؤكد ذلك الحديث الذى رواه ابن دريد فى الجمهرة قال : جاء قوم بأسير إلى النبى ﷺ ، فقال أدفوه ، فقتلوه ، أراد النبى عليه السلام أدفئوه ، ولغته ترك الهمزة[1] ، « والتسهيل فى هذين اللفظين (أجبى ـ أدفوه) على غير قياس ، لأن الهمزة فى الأولى قياسها أن تسهل بَيْن بَيْن ، والعدول عنه إلى الألف ، ربما كان سببه المزاوجة ، والهمزة فى الثانية قياسها بَيْن بَيْن أو الإبدال ياء ، والعدول عنهما إلى الحذف ، ليس له من سبب إلا المبالغة فى التسهيل ، جريًا على لهجة قريش . كذلك كانت السيدة عائشة رضي الله عنها ، تجرى على سليقتها اللغوية ، فتترك الهمزة ، ففى حديث لها « قالت فى اليوم الذى بدى فيه رسول الله ﷺ : وارأساه »[2]، فكلمة (بدى) أصلها بدئ ، قال اللحيانى : بدئ الرجل يُبدأ به : أخرج به بثر شبه الجدرى ورجل مبدؤ به خرج به ذلك[3]، فالسيدة عائشة حولت الهمزة فى (بدئ) إلى الياء على طريق القياس ، استجابة لسليقتها ، وجريًا على لهجة قومها ، وكان ابن عباس أيضًا يترك الهمزة إذا ما جرى على لهجة قومه ، فقد روى أنه قال « لا بأس بقتل الحِدَوْ والأِفْعَوْ للمحرم ، وكأنها لغة فى الحدأ »[4] فقوله الحِدَوْ بدلاً من الحِدَأْ ، ما هو إلا تخلص من الهمز وإن لم يكن لذلك نظير فى القياس . وقد جاء التسهيل أيضًا فى أشعار القرشيين ، ومن ذلك البيت :

نحن قريشٌ وهمو شَنوّة بنا قريشًا ختم النَبوّة[5]

فقائل هذا البيت قرشى يتحدث عن مفاخر قريش ، كما هو واضح وهو أيضًا قد جرى على لهجتهم فى قوله (شنوّة) و« النبوة » وأصلهما شنوءة والنبوءة فأبدل الهمزة واوًا وأدغمها فى الواو قبلها على طريق القياس ، ولم يكن الشاعر مضطرا

---

(١) جمهرة ابن دريد ج١ ص٧٤.

(٢) تاج العروس ج١ ص٤٣.

(٣) المرجع السابق (مادة بدأ)- ومثله فى اللسان (بدأ) .

(٤) لسان العرب ج١ ص٤٧.

(٥) البيت من الرجز، وهو فى خزانة الأدب ٤٣٠/٢ غير منسوب، وكذا فى لسان العرب وتاج العروس (ش ن أ).

إلى هذا التسهيل ، لأنه لو قال شنوءة بالهمز ، والنبوءة بالهمز ، لكان وزن البيت مستقيمًا ، كما هو مع الإبدال والإدغام تمامًا ، فالتسهيل فيه تمثيل صادق للهجته وهى لهجة قريش .

وهذا المذهب القرشى فى التخلص من الهمز ، كان له صدى واسع ، فى محيط القراءات القرآنية ، التى قرأ بها أهل مكة ، وقارئهم ابن كثير ، فمما نسب إلى أهل مكة في قراءة الآية ﴿ فَلَمَّا ٱسْتَيْـَٔسُوا۟ مِنْهُ ﴾ (يوسف:٨٠) : (استايوا) من غير همز وفى قوله : ﴿ لَا يَا۟يْـَٔسُ ﴾ (يوسف:٨٧) : (لا يايس) من غير همز[١]. وأصلهما فى قراءة التحقيق (استيأسوا) و(لا ييأس) ، قدموا الهمزة فيهما على الياء ، على طريقة القلب المكانى ، ثم أبدلوا من الهمزة ألفًا ، لأنها حينئذ ساكنة وقبلها فتحة . ومما نسب إليهم ﴿ وَأَنتُمْ حِينَئِذٍ ﴾ (الواقعة:٨٤) فقد روى (حينيذ) بترك الهمز عن أهل مكة[٢]. وأصلها فى قراءة التحقيق (حينئذ) سهلوا همزها بالإبدال ياء ، على غير قياس ، لأن القياس فى الهمزة المكسورة المفتوح ما قبلها هو بين بين ، ومن قراءات ابن كثير (ثم ايتوا ، وثم ايْتوا) [٣]، وأصلها ﴿ ثُمَّ ٱئْتُوا۟ ﴾ (طه:٦٤) ويبدو أنه قطع همزة الوصل فصارت الهمزة بعدها ساكنة ، فأبدلها ياء ممدودة ، أما على الوجه الثانى فيبدو أنه حذف همزة الوصل ، وأبدل الهمزة ياء لينة على غير قياس ، وكان قياسها أن تبدل ألفًا ، لأن قبلها حينئذ ميما مفتوحة ، ومنها أيضًا (إنها لحْدى الكبر) عن ابن كثير[٤]، وأصلها ﴿ لَإِحْدَى ﴾ (المدثر:٣٥) فحذف الهمزة على غير قياس ، ومنها (شعاير) بغير همز فى بعض روايات ابن كثير[٥]. وأصلها ﴿ شَعَآئِرِ ﴾ (البقرة:١٥٨) فأبدل الهمزة ياء على غير قياس أيضًا . فهذه القراءات وأمثالها ، ظهرت فيها لهجة القرشيين بوضوح تام ، ولا تدع مجالاً للشك فى تسهيل الهمزة عندهم .

* * *

(١) مختصر شواذ القراءات لابن خالويه ص٦٥. (٢) مختصر فى شواذ القراءات ص١٥٢.
(٣) المرجع السابق ص٨٦. (٤) المرجع السابق ص١٦٢.
(٥) المرجع السابق ص١١.

ومن قبائل التسهيل أيضًا : أهل المدينة كما ورد فى كلام عيسى بن عمر السابق يوضح ذلك ما نسب إلى الأنصار من أنهم كانوا يقولون فى الفعل (بدأت) (بديت به) أى قدمته ، قال ابن القطاع : وهى لغة الأنصار ، قال ابن رواحة :

باســـم الإلـــه وبـــه بـــدينا ولـــو عبـــدنا غـــيره شـــقينا
فحبـــذا ربًا وحُبّ ديـــنا[1]

والإبدال فى هذا الفعل على غير قياس ، ولو جرَوْا على القياس لقالوا : (بدات) بالألف . وكان أهل المدينة يقولون : لَحْمَر بدلاً من الأحمر[2] . فتراهم يحذفون الهمزة بعد نقل حركتها إلى ما قبلها ، ويعتدون بالحركة المنقولة العارضة ، فيستغنون عن همزة الوصل . ومثل ذلك الحذف والنقل جاء فى قراءة نافع إمام دار الهجرة ، وأخَذَه عنه تلميذه ورش ، واختص به من طريقيه[3]، وجاء أيضًا فى بعض قراءات الإمام أبى جعفر المدنى ، كقراءته لألفاظ (**الآن** ، **ملء الأرض** فى سورة آل عمران ، **من أجل ذلك** فى المائدة ، **رِدْءًا يصدقنى** فى القصص ، **عادًا الأولى** فى النجم) [4]، وقد أفصح ابن الجزرى فى عبارة مختصرة عن مذاهب قراء الحجاز ، ومن تأثر بهم فقال « وكانت قريش وأهل الحجاز أكثرهم له تخفيفًا ، ولذلك أكثر ما يرد تخفيفه من طرقهم ، كابن كثير من رواية ابن فُلَيْح ، وكنافع من رواية ورش وغيره ، وكأبى جعفر من أكثر رواياته ، ولا سيما رواية الغَمْرى عن أصحابه عنه ، فإنه لم يكد يحقق همزة وصلا ، وكابن محيصن قارئ أهل مكة مع ابن كثير وبعده ،

---

(١) الأبيات من بحر الرجز، قالها عبد الله بن رواحة الأنصارى ، وقد نسبت إليه فى جمهرة اللغة ٧١/٢ (ب د ى) وفى كتاب الأفعال لابن القطاع ص١٩، وبلا نسبة فى الصحاح واللسان وتاج العروس (ب د ى) والأول والثانى فى المخصص ٤٢/١٠. وهمع الهوامع ٨٨/٢، ٨٩، والدرر اللوامع ١١٦/٢، وشرح الأشمونى ٤٢/٣، وسبل الرشاد فى سير خير العباد ٥١٧/٤، وسمط النجوم العوالى ١٢٩/٢.

(٢) فى اللهجات العربية د. أنيس ص١١٢.

(٣) راجع تقريب النشر فى القراءات العشر ص٣٦.

(٤) راجع السبيل الميسر فى قراءة الإمام أبى جعفر ص٢٩.

وكأبى عمرو ، فإن أكثر مادة قراءته عن أهل الحجاز ، وكذلك عاصم من رواية الأعشى عن أبى بكر ، من حيث إن روايته ترجع إلى ابن مسعود»[1].

* * *

ومن قبائل الحجاز التى كانت تسهل الهمزة أيضًا ، قبيلة هذيل ، فقد روى عن الحسن أنه قال يومًا توضيت ، بالياء ، فقيل له أتلحن يا أبا سعيد؟ فقال : إنها لغة هذيل ، وفيهم نشأت[2] وقد ذكر الأستاذ محمد عبدالجواد الطيب فى رسالته «لغة هذيل» موقف هذيل من الهمز بصورة مفصلة ، وكان مما ذكر أنهم يقولون (رَزِيَّة) بتخفيف الهمزة ، كما جاء فى قول أبى العيال الهذلى :

رزية قومه لم يأخذوا ثمنا ولم يهبوا[3]

ويقولون : النبىّ والحتّى ، ولا يقولون النبىء ولا الحتىء ، وقد جاء الثانى فى قول المتنخل :

لا در درّى إن أطعمت نازلكم قرف الحتى وعندى البُرُّ مَكْنُوزُ[4]

ويقولون : (نىّ : فى نيىء) ، أى غير ناضج وقد جاء فى شعرهم :

فظلْت وظلّ أصحابى لديهم غريض اللحم نى أو نضيج[5]

---

(١) النشر فى القراءات العشر ج١ ص٤٢١.

(٢) تاج العروس ج١ ص ١٣٤.

(٣) راجع لغة هذيل من ص ٩٥ إلى ١٠٥.
البيت من مجزوء الوافر، منسوب إلى أبى العيال الهذلى فى ديوان الهذليين ٢٥٢/٢، وشرح أشعار الهذليين ٤٣٢/١، ولهجة هذيل ص ٨٦، والمعجم المفصل ٢٧٥/١.

(٤) البيت من بحر البسيط، قاله المتنخل الهذلى ، وهو فى شرح أشعار الهذليين ١٢٦٣، ديوان الهذليين ١٥/٢، والكتاب ٨٩/٢، وكتاب الجيم لأبى عمرو الشيبانى ج٣، ص٧٩، والبيان والتبيين ٣٥/١، وجمهرة اللغة ٦/٢ برواية (رائدهم) مكان (نازلكم)، وسمط اللالئ ١٥٧، والمقاييس ١٣٦/٢ (حتو)، ولسان العرب (برر) (وكنز)، وتاج العروس (حتى)، والفائق للزمخشرى ٢٢٧/١، ونسب إلى أبى ذؤيب الهذلى فى الحيوان للجاحظ ٢٨٥/٥، وفى شرح شواهد الشافية ٤٨٨ وبلا نسبة فى اللسان (درر) ، والمعجم المفصل ١٤/٤.

(٥) البيت من بحر الوافر، منسوب لزهير بن حرام الهذلى فى شرح أشعار الهذليين ٦١٩، وشرح عمدة الحافظ ٦٢٩، ولسان العرب (نيأ)، وتاج العروس (نيأ)، والمعجم المفصل ٢٦/٢، ولهجة هذيل ٨٧.

ويقولون : (الهدوّ : فى الهدوء) ، كما فى بيت أبى ذؤيب :

أمـــن أم ســـفيان طيـــف ســـرى هـــدوًا فـــأرق قلبـــا جريحـــا[1]

وذكر صاحب لغة هذيل أن هذيلا كانت تحذف الهمزة المسبوقة بحرف صحيح وتعوض عنها تضعيف ذلك الحرف ، فيقولون (المَرّ) فى المرء ، كما جاء فى قول أبى خراش :

جمعـــت أمـــورا ينفـــذ المـــرَّ بعضُـــها من الحِلْم والمعروف والحسب الضخم[2]

وذكر أنهم كانوا يحذفون الهمزة ، دون تعويض بعد حرف النداء ، كما فى قول صخر الضَبّى الهذلى :

ولست بمضـــطر ولا ذى ضـــراعة فخفّض عليك القول يابا المـــثلّم[3]

وذكر أيضًا أنهم كانوا يحذفون الهمزة بعد الألف اللينة ، فى صيغة فاعل ، مثل : (رادٍ) ، فى رائد ، (وهار) فى هائر ، (وهالٍ) فى هائل ، (وصاتٍ) فى صائت

---

(١) البيت من بحر المتقارب، وهو فى ديوان الهذليين ١٢٩/١، والمعجم المفصل ٣٦٤/٤، ٤٠٠/٧ ولغة هذيل ٨٨.

(الهُدُوّ) قال أبو سعيد السكرى فى شرح أشعار هذيل: هو الهدوء الذى يكون بعد انقضاء هزيع من الليل.

(٢) البيت من بحر الطويل، قاله أبو خراش الهذلى يرثى خالد بن زهير، وهو فى ديوان الهذليين ١٥٣/٢ (المرّ) بالتضعيف بعد حذف الهمزة، وفى لسان ٤١٦٦/٦ (مرأ) برواية السّكرى (المِرْء) بكسر الميم والهمزة فى آخره، ولا شاهد فيها، وفى تاج العروس ١١٧/١ (مرأ) كما فى اللسان، وفى لغة هذيل ٩٨. وفى المعجم المفصل ٣٣٤/٧- ومعنى (ينفذ) : يجعله ذا نفوذ .

وفى رسالة الملائكة ١٥٨ ذكر أن ميم المرء تجوز فيه الحركات الثلاث ، وأجودها الفتح، قال المحقق: وقرئ (بين المرِّ وزوجه) البقرة: ١٠٢] بتشديد الراء، ووجهه أنه حذف الهمزة وألقى حركتها على الراء ـ كذا جاء فى الكشاف ج / ص ، وتفسير البيضاوى ج / ص.

(٣) البيت من بحر الطويل، قائله صخر الغىّ الهذلى، وهو فى ديوان الهذليين ٢٢٥/٢.

وفى لغة هذيل ٩٤ :

ومثل ذلك البيت قول رؤبة :

وأنـــت يا بامسلـــم وَفَيْتَا

قال ابن منظور فى ص ٢٤ من حرف الهمزة معلقًا: ترك الهمزة وكان وجه الكلام: يا أبا مسلم، فحذف الهمزة وهى أصلية، كما قالوا لا أب لك، ولا أبًا لك، ولا بالك، ولاب لغيرك، ولا با لشانئك .

وهكذا . وقد ظهرت آثار هذه اللهجة الهذلية ، فى قراءة عبد الله بن مسعود لأنه من هذيل ، ومن ذلك قراءته لقوله تعالى : ﴿ أَلَّا يَسْجُدُوا لِلَّهِ الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ ﴾ (النمل:٢٥) : (الخبا) بالألف الساكنة ، وقد شاركه فيها مالك بن دينار[١] ، ويبدو أنهم حذفوا الهمزة بعد نقل حركتها إلى الباء قبلها ، ثم أشبعوا الحركة المنقولة ، فتولدت الألف الساكنة ، ومن ذلك أيضًا قراءته لقوله تعالى : ﴿ وَجِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾(آل عمران:٥٠) : (وجيتكم) [٢] بإبدال الهمزة الساكنة من جنس ما قبلها ، على القياس ، ومنها أيضًا قراءته لقوله تعالى : ﴿ فَإِذًا لَا يُؤْتُونَ النَّاسَ نَقِيرًا ﴾ (النساء:٥٣) : (لا يوتوا) [٣] بإبدال الهمزة الساكنة من جنس ما قبلها على القياس فى أمثالها ، ومنها قراءته لقوله تعالى : ﴿ لَا يَأْكُلُهُ إِلَّا الْخَاطِئُونَ ﴾ (الحاقة:٣٧) (الخاطون) ، وكذلك قراءة ابن عباس[٤]، وحذفهما للهمزة فيها على غير قياس ، لأن قياس أمثالها التسهيل بين بين عند سيبويه ، أو الإبدال ياء على مذهب الأخفش وغير ذلك كثير فى قراءة ابن مسعود ، التى تمثل بيئة الحجاز أصدق تمثيل فى الأعم الأغلب .

* * *

ومن القبائل التى أثر عنها تسهيل الهمزة ، قبيلة ضبة ، فقد جاء فى شعر ربيعة ابن مقروم الضبىّ (الكامل) :

أرجيته عنى فأبصر قصده وكويته فوق النواظر من عل

قال المرزوقى فى أماليه : والرواية الصحيحة (أرجأته) و(أرجيته) وهما لغتان والهمز أفصح[٥] . ومن هذا القول يفهم أن البيت ينشد بالهمز وعدمه ، وعلى

---

(١) مختصر فى شواذ القراءات ص ١١٠.

(٢) مختصر فى شواذ القراءات ص ٢٧.

(٣) مختصر فى شواذ القراءات ص ٣٤ جعل الفاء جوابًا ونصب يوتوا بإذن اهـ

(٤) مختصر فى شواذ القراءات ص١٦١.

(٥) الأمالى للمرزوقى ج١ ص٦٤، ٦٥ وانظر شرح ديوان الحماسة ٦٤/١ الطبعة الأولى ١٩٥١م مطبعة التأليف والترجمة والنشر.

احتمال عدم الهمز ، يكون الشاعر الضبى قد التزم لهجة قومه التى هى التسهيل ، وعليها جرى الشاعر الآخر جواس بن نعيم الضبى فى قوله :

كأن خُروَّ الطير فـوق رءوسـهم إذا اجتمعت قـيس معـا وتمـيم
متى تَسَل الضبى عن شـر قومـه يقل لـك إن العائـذى لئـيم[1]

فقوله (خُروّ) مكان : خروء ، وقوله (تسل) بدلا من : تسأل ، فى غير ضرورة ملزمة للتسهيل ، يدل على أن التسهيل كان لهجة لهذا الضبىّ فى هاتين البيتين وكذلك الحال فى البيت السابق ، ليست هناك ضرورة ملزمة للتسهيل ، وهذان الضبيّان يحتمل أن يكونا من ضبّة بن عمرو التى هى بطن من هذيل أو من ضبة ابن حرب التى هى بطن من قريش ، لأن هذيلا وقريشًا من القبائل التى تسهل ، وليس من الراجح أن ينتهى نسبهما إلى ضبة بن أوس بن طابخة التى كانت تنزل فى جوار تميم[2].

* * *

ومن القبائل التى كانت تسهل أيضًا بعض أهل اليمن ، فكانوا يبدلون من الهمزة الواقعة فاء فى صيغة (فاعلته) واوًا ، جاء فى لسان العرب « وآتيته على ذلك الأمر مؤاتاة ، إذا وافقته وطاوعته ، والعامة تقول واتيته ، قال : ولا تقل واتيته إلا فى لغة أهل اليمن[3]، ويظهر أن المقصود بأهل اليمن فى النص السابق قبيلة طيئ أو بعض بطونها ، لأنها فى الأصل قبيلة يمنية ، وقد يرجح هذا ما جاء فى اللسان أيضًا ، قال « وتقول آخيته على مثال فاعلته ، قال : ولغة طيئ واخيته »[4] ، وقد أرجع دكتور أنوليتمان هذا الإبدال إلى الزمن القديم حيث وجد فى النقوش الصفوية (و ن س) ومعناها : آنس ، أما طريق هذا الإبدال فيبدو أنه كان يتم فى المضارع أى فى يؤاتى ،

---

(١) البيتان من بحر الطويل، منسوبان إلى جواس الضبى فى لسان العرب (خرأ) وتاج العروس (خرأ) والتنبيه والإيضاح ١٤/١، والمعجم المفصل ٢٥٨/٧ – والمؤكد هنا رواية التاج (تسل) .

(٢) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج٢ ص٦٦١، ٦٦٢.

(٣) لسان العرب ج١٨ ص١٨.

(٤) اللسان ج١٨ ص٢٣.

ويؤاخى ، التى تصير بمقتضى القياس يواتى ويواخى ، ثم استعمل الماضى من المخفّف ، فقيل : واتى ، وواخى[1] ، ولم تقتصر طيئ على إبدال الهمزة المصدرة واوًا ، بل كانت تبدلها (هاء) فتقول (هن فعلت) فى إن الشرطية[2] ، وكانت تقول فى الفعل (أراد) هراد «وهو إبدال يوافق السبئية الجنوبية ، التى تجعل (هَفْعل) دائمًا مكان (أَفْعل) فى العربية الشمالية»[3]، وعلى ذلك يمكن إرجاع كل ما كان على هذا النحو من الأفعال مثل هرقت الماء ، وهرحت الدابة ، وهنرت الثوب ، التى أصلها : أرقت ، وأرحت ، وأنرت ، إلى لهجة سبأ ، وهذه اللهجة اليمنية نجد صداها فى العربية الشمالية ، فالفعل (أزّ) كان شائعًا لدى البدو بينما الصيغة الأخرى له وهى (هزّ) كانت مستعملة فى بلاد الحجاز[4]، واستعمال الهاء بدلاً من الهمزة لون من تسهيل الهمزة ، لما بينهما من قرب مخرجى ، ولأن الهاء صوت مهموس وغير شديد ، فهى أسهل فى نطقها من الهمزة ، التى هى صوت شديد بالغ الشدة ، ويبدو أن أهل الحجاز كانوا يستحسنونه فى كلامهم ، فهم كانوا يقولون : ها إنك زيد؟؟ ومعناه أإنك زيد؟؟ فى الاستفهام ، ويقصرون فيقولون هإنك زيد؟؟ فى موضع أإنك زيد؟؟ [5] .

وقد جاء على هذه اللهجة قول الشاعر :

وأتت صواحبها فقلن هذا الــذى مــنح المــودة غيرنــا وجفانــا[6]

---

(١) راجع مقال د/ أنوليتمان (بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى) ص٢١، ٢٢.

(٢) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج١ ص٦٢.

(٣) المحيط فى أصوات العربية ونحوها وصرفها ج١ ص١٢٢.

(٤) انظر الأصوات اللغوية/ ص٩٩.

(٥) لسان العرب ج٢٠ ص٣٦٥.

(٦) من بحر الكامل، أنشده اللحيانى عن الكسائى لجميل بن معمر العذرى القضاعى وهو فى ديوانه ١٩٦، وينظر رسالة الملائكة ص٩٥، ولسان العرب (ذا) ، (ها)، وقال البغدادى فى شرح شواهد الشافية ٤٧٧ قائله مجهول، ويشبه أن يكون من شعر عمر بن أبى ربيعة فإن فى غالب شعره أن النساء يتعشقنه ا هـ وبلا نسبة فى سر صناعة الإعراب ٥٥٤/٢، والمحتسب ١٨١/١، وشرح المفصل ٤٢/١٠ والجنى الدانى ١٥٣، ورصف المبانى ٤٠٣، ومغنى اللبيب ٣٤٨/١، والمقرب ١٧٩/٢، والممتع ٤٠٠/١، والمعجم المفصل ٢٧/٨.

قال ابن جنى فى المحتسب : لا يريد هذا الذى ، بل يريد : أذ الذى ، ثم أبدل همزة الاستفهام هاء[1] . أما نسبة هذا البيت فقد قال شارح شواهد الشافية ويشبه أن يكون من شعر عمر بن أبى ربيعة المخزومى[2] ، فلو صحت هذه النسبة لكان هذا الإبدال موافقًا لما عرف عن بيئة الحجاز ، من جعل الهمزة هاء للتسهيل لأن بنى مخزوم هؤلاء من قريش البطاح[3] . لكن إبدال الهمزة هاء لم يكن مقصورًا على أهل الحجاز من عرب الشمال ، بل شاع فى ألسنة بعض القبائل البدوية أيضًا ، وقد نستطيع أن نلمس ذلك من قول المرار الفقعسى (الكامل) :

وأما لهنّك من تذكر أهلها لعلى شفا يأس وإن لم تيأس

قال أبو زيد : يريد أما إنّك[4] . وقبيلة فقعس هذه إحدى بطون قبيلة أسد كما سبق . وقد ورد ذلك الإبدال أيضًا فى قول الشاعر :

فهياك والأمر الذى إن توسَّعتْ موارده ضاقت عليك المصادر[5]

والمراد : فإياك : أما قائل هذا البيت فهو مضرّس بن ربعى الفقعسى كما ذكر أبو تمام فى الحماسة ، أو طفيل الغنوى كما ذكر أبو تمام أيضًا فى كتاب مختار أشعار القبائل[6] . وعلى الاحتمال الثانى ، يكون هذا الإبدال واردًا فى لهجة قيس ، التى ينتهى نسب قبيلة غنى إليها ، وقد يؤكد هذا الاحتمال ، أنه قد قرئ (هياك نعبد) فى قوله تعالى : ﴿ إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ﴾ (الفاتحة:٥) ونسبت تلك

---

(١) المحتسب ج١ ص١٨١.

(٢) شرح شواهد الشافية ص٤٧٧.

(٣) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج٣ ص٩٤٨.

(٤) النوادر فى اللغة لأبى زيد الأنصارى ص٢٨. ط بيروت ١٩٦٧م.

(٥) البيت من بحر الطويل، كذا رواه الأنبارى فى الإنصاف ٢١٥/١، وابن يعيش فى شرح المفصل ٤٢/١٠، والبغدادى فى شرح شواهد الشافية ٤٧٦ ، ورواه ابن جنى فى التصريف الملوكى ٢٩، وابن برهان فى شرح اللمع ورقة ٢٨، وابن يعيش ١١٨/٨، (موارده ضاقت عليك مصادره) وينظر الممتع ٣٩٧/١، وشرح الحماسة للمرزوقى ١١٥٢، والمناهج الكافية فى شرح الشافية ٥١١ (رسالة دكتوراه) .

(٦) راجع شرح شواهد الشافية ص ٤٧٦.

القراءة لرجل من غنى ، وهو أبو السوار الغنوى[1] . ويمكن تفسير وجود هذا الإبدال عند الحجازيين وقبائل البدو ، بأنه من آثار مجاورة قبيلة طيئ لهؤلاء وأولئك ، لأن المعروف أن طيئًا هاجرت من اليمن ونزلت فى جوار تميم وأسد ، وملكت بلادهم ، كما أنها استقرت فى بلاد الحجاز[2]، هذا ويرى د . أنوليتمان أن ما وجد عند بنى طيئ وعند بنى تميم من إبدال الهمزة الفصيحة هاء ، ليس بإبدال حقيقى ، ويروى من مقارنة اللغات الساميّة ، أَنّ «هِنْ» بمعنى «إِنْ» ، (ولِهَنَّك) بمعنى (لأَنَّك) و(هَ) بمعنى الألف الاستفهامية هى الصيغ الأصلية ، لأن (hen) تعنى إِنْ عند الآراميين ، و(henne) تعنى إِنَّ عند العبرانيين ، والألف الاستفهامية عندهم هاء[3] . وبناء على ذلك فالأمر لا يخلو من أحد احتمالين :

أولهما : أن يكون هذا الإبدال قد حدث فى اللغة السامية الأم ، ثم صار النطق بالهاء هو الأصل فى العبرانية والآرامية ، بينما احتفظت اللغة العربية بالأصل الأصيل فى اللغة السامية وهو الهمزة فى أغلب لهجاتها ، واحتفظت بالصورة المتطورة فى القليل من لهجاتها كلهجة طيئ وفقعس وغنى وبعض أهل الحجاز .

ثانيهما : أن يكون الأصل فى السامية هو النطق بالهاء ، ثم احتفظت الآرامية والعبرانية بهذا الأصل ، بينما حدث تطور فى العربية ، فصارت الهاء إلى الهمزة ، وغلبت الهمزة وصارت هى النطق الشائع فى أغلب لهجاتها ، على حين احتفظت بالأصل الأصيل فى السامية وهو الهاء فى القليل من لهجاتها كلهجة طيئ وفقعس وغنى وبعض أهل الحجاز .

لكن يبدو أن الاحتمال الأول هو الأقوى والأرجح لموافقته لقوانين التطور ، التى ترجح إبدال الأسهل وهو الهاء من الأصعب وهو الهمزة ، ولأن العربية التى عرفت للدارسين منذ الجاهلية حتى الآن ، تستعمل الهمزة على أنها الأصل فى (إن وأن ،

---

(١) مختصر فى شواذ القراءات ص١.

(٢) راجع معجم القبائل العربية القديمة والحديثة ج٢ ص٦٩٠.

(٣) بقايا اللهجات العربية فى الأدب العربى ص٢٥.

ولأنك ، وألف الاستفهام) ، كذلك لم يشر أحد إلى أن الهاء هى الأصل فى (هرقت ، وهرحت ، وهراد ، وهياك) مما يرجح أن الهمزة هى الأصل فى العربية ، وأن الهاء هى النطق المتطور عنها لغرض التخفيف من ثقل الهمزة .

* * *

ومن القبائل التى نسب إليها التسهيل أيضًا ، قبيلة فزارة ، فقد ذكر النحويون أنه يجوز فى تثنية كساء ونحوه ، أن يقال : كساءان ، وكساوان بإقرار الهمزة وقلبها واوًا ، وهاتان اللغتان من القلب والإقرار يتكلم بهما جميع العرب ، وحكى أبو زيد فى كتاب الهمز لغة ثالثة ، لبنى فزارة ، وهى قلب الهمزة ياء ، فيقولون كسايان[1] . كذلك اختلفوا فى تثنية حمراء ، ولم يذكر سيبويه فيها إلا القلب واوًا ، نحو حمراوان ، وأجاز الكوفيون على ما نقله النحاة فيها ، القلب والإقرار ، أى يقال على مذهبهم حمراءان وحمراوان ، وحكى أبو حاتم وابن الأنبارى إقرارها همزة عن العرب ، وقلبها ياء لغة لفزارة[2]، «ففزارة إذن كانت لا تنطق المثنى بالهمزة ، وإنما كانت تلتزم الياء فيه ، وأغلب الظن أن ذلك كان على سبيل التحويل بقصد التخفيف من ثقل الهمزة ، ولم يكن رجوعًا إلى الأصل ، وإلا كانوا ينطقون بالواو لا بالياء فى كساءان ونحوه ، ومما يساعد على هذا التفسير أن فزارة كانت من القبائل التى نزلت الحجاز مع مجىء الإسلام ، واستقرت به[3] .

* * *

وهناك عدة روايات تنسب التسهيل إلى غير القبائل الحجازية ، ومنها ما حكاه أبو زيد ، قال : سمعت امرأة من عقيل وزوجها يقرءان «لم يلد ولم يولد ، ولم يكن له كفوًا أحد» فألقى الهمزة وحول حركتها على الفاء[4]. ومنها قول أبى زيد أيضًا : تميم تقول سماء البيت ، وقيس تقول : بنى سماوة البيت[5].

---

(١) ارتشاف الضرب من كلام العرب ج١ ص١٥٠ (بتصرف).
(٢) المرجع السابق نفس الموضع (بتصرف).
(٣) راجع معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع ج١ ص٩٠.
(٤) تاج العروس ج١ ص١٠٨.
(٥) النوادر فى اللغة ص٢٥٣.

ويمكن تفسير هذا ونحوه بأنه من باب التأثر بلهجات من يخففون الهمزة ، لأنه لم تكن هناك فى شبه الجزيرة العربية حواجز طبيعية تمنع من الاختلاط والاحتكاك ، فامتزاج القبائل واختلاطها ولا سيما بعد ظهور الإسلام كان من أهم أسباب تقارض اللهجات بين القبائل .

* * *

وخلاصة ما سبق أن تسهيل الهمزة اطرّد فى لهجات القبائل الحجازية وعلى رأسها قريش ، والأنصار ، وهذيل ، وضبّة ، ومخزوم ، وفزارة ، وطيئ ، ويضاف إليها بعض أهل اليمن ، وأما ما أثر عن بعض الأفراد من غير الحجازيين كطفيل الغنوى ، وأبى السوار الغنوى ، ورجل من عقيل وزوجه ، وما حكى عن قيس فكله لا يعدو إلا أن يكون من باب التأثر وتقارض اللهجات الناجم عن الاختلاط والامتزاج بين القبائل العربية .